الحكمة فى ميدان الدعوة إلى الله تعالى

تأليف

الدكتور/ أحمد محمد أحمد الشرنوبى

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين - القاهرة

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، إمام الداعين إلى الله تعالى بالحكمة ، وعلى آله وصحبه السالكين منهجه على بصيرة ، والمجاهدين فى سبيله بإحسان ، ومن اهتدى بهديه ، وسلك نهجه ، وسار على دربه إلى يوم الدين. وبعد:

فإن قضية الحكمة فى ميدان الدعوة إلى الله تعالى من أهم القضايا التى يتوقف على مراعاتها النجاح فى الدعوة ، والتأثير فى المدعو ، وهى تشمل جانبين:

الأول: جانب الداعية الذى يجب أن يتصف بالحكمة فى دعوته ليصل بها إلى المستوى المؤثر فى المدعو.

والثانى: جانب الدعوة حيث لا ينبغى اعتبار الحكمة مجرد أسلوب من أساليبها التى أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [1] ، بل تتسع دائرة الحكمة لتشمل كل ما يتصل بآفاق الدعوة الرحبة وأساليبها المتعددة دون اعتبارها مجرد واحد من هذه الأساليب .

وهذه الدراسة قد عالجت هذه القضية علاجاً يميط اللثام عن كثير من جوانب القصور التى يقع فيها دعاة اليوم ، مما ينأى بدعوتهم عن التأثير فى الحياة والأحياء ، ويفقدها القدرة على انتشال الناس من وهدتهم ، والأخذ بأيديهم إلى حيث صلاحهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة .

وقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتى:

<u>التمهيد:</u> ويشتمل على:

١. معنى الحكمة فى اللغة .
٢. معنى الحكمة فى الاصطلاح .
٣. استعمالات الحكمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

المبحث الأول: الحكمة فى جانب الداعية:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجانب السلوكى والأخلاقى .

المطلب الثانى: الجانب العلمى والثقافى .

المبحث الثانى: الحكمة فى جانب الدعوة:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ملامح الحكمة فى طبيعة الدعوة .

المطلب الثانى: ملامح الحكمة فى أساليب الدعوة

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة .

وبعد فقد حاولت بهذا العمل المتواضع إضافة لبنة فى ميدان الدراسة المتصلة بعلم الدعوة الإسلامية ، آملاً أن ينفع الله تعالى به بما بذل فيه من جهد ، واستغرقه من وقت ، وصاحبه من عزيمة ، كما أسأل الله العلى القدير أن يغفر لى به ذنوبى وتقصيرى ، وأن يرحم به ضعفى وعجزى ، وأن يوفقنى فى طلب العلم ، وأن يجعلنى من أهله ، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

١. معنى الحكمة فى اللغة:

الحكمة مصدر حَكُمَ أى صار حكيماً ، وهو مأخوذ من مادة (ح ك م) التى تدل على المنع[١] أو المنع للإصلاح[٢] ، ومنه الحُكْم بمعنى المنع من الظلم ، وحَكَمَة اللجام لأنها تمنع الدابة عما لا يريده صاحبها ، والحِكْمَة لأنها تمنع من الجهل .

وفى المصباح المنير: الحُكْم القضاء وأصله المنع ، يقال: حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك .. ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال .. وأحكمت الشىء بهمزة القطع أتقنته فاستحكم هو صار كذلك .

ويقول الجوهرى: الحُكْم مصدر قولك: حكَمَ بينهم يَحْكُم أى قضى ، ويُقال: حَكَمَ له أو عليه ، والحُكْمُ أيضاً: الحكمة (المانعة من الجهالة) ، والحكيم: العالم ، والحَكيم: صاحب الحِكْمَة ، والحكيم: المتقن للأمور ، وقد حَكُمَ أى صار حكيماً.

قال النِّمرُ بن تَولَب:

وأبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيداً إذَا أنت حاولتَ أن تَحْكُمَا

أى إذا حاولت أن تكون حكيما. ويُقال: أحْكَمْتُ الشىء فاستحْكَمَ أى صار مُحْكَماً. ويُقال أيضاً: حَكَمْتُ السفيه وأَحْكَمْتُهُ: إذا أخذتَ على يده ، قال جرير:

أَبَنِى حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءكُمْ إنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

ويُقال: حَكَّمْتُ الرجل تَحْكِيماً إذا منعتَه مما أراد ، ويُقال: حَكَّمْتُهُ فى مالى إذا جعلتَ إليه الحُكْم فيه ، واحتَكَموا إلى فلان وتحاكَموا بمعنى أى تَخاصَموا إلى الحاكم ، والمُحَكِّم هو الشيخ المُجَرِّب المنسوب إلى الحِكْمَة. واستَحْكَمَ الرجل إذا تَنَاهَى عما يضره فى دينه ودنياه .

وقال الراغب فى مفرداته: الحِكْمَة إصابة الحق بالعلم والعقل ، ويختلف معنى الحكمة باختلاف من يتصف بها ، فالحِكْمَة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على

---

(١) ذهب إليه ابن فارس فى مقاييس اللغة ٩١/٢ .

(٢) ذهب إليه الراغب فى مفرداته ص ١٢٦ .

غاية الإحكام ، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا وُصِفَ به لقمان فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾[١].

٢. معنى الحكمة فى الإصطلاح:

عرَّف العلماء الحكمة تعريفات كثيرة تبعاً لتعدد المعنى اللغوى ، فقال ابن الأثير فى النهاية: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[٢]. وقال الكفوى: الحكمة عند العلماء هى استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة علي الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ، وقال بعضهم: هى العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للنفس الإنسانية وما عليها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[٣].

وقد ذكر التهانوى وابن حجر وغيرهما للحكمة تعريفات عديدة تختلف باختلاف نوع الحكمة من ناحية واختلاف من يتناولها من العلماء من ناحية أخرى ، من هذه التعريفات ما يلى:

١. عند المفسرين:

قال ابن عباس رضى الله عنهما: الحكمة هى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله[٤]، وقال قتادة: الحكمة الفقه فى القرآن ، وقال زيد بن أسلم: الحكمة العقل فى الدين[٥].

وقال التهانوى: الحكمة معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به وهو التكاليف الشرعية[٦].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٩١/٢ ، والمصباح المنير للفيومى ٢٠٠/١ ، والصحاح للجوهرى ١٩٠٢/٥ ، ولسان العرب لابن منظور ٩٥١/١ ، والمفردات للراغب ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، والنص القرآنى من سورة لقمان: الآية ١٢ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث ٤١٩/١ .

(٣) الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية للكفوى ٢٢٢/٢ ، والنص القرآنى من سورة البقرة: الآية ٢٦٩ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٢٣/١ .

(٥) تفسير ابن عطية ٣٦٤/١ .

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٣٧٠/١ .

٢. عند المحدثين:

قال ابن حجر: واختلف فى المراد بالحكمة فقيل: الإصابة فى القول. وقيل: الفهم عن الله ، وقيل: ما يشهد العقل بصحته ، وقيل: نور يُفرَّق به بين الإلهام والوسواس. وقيل: سرعة الجواب بالصواب ، وقيل غير ذلك[١] ، ثم نقل عن الإمام النووى قوله: فى الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها: أن الحكمة هى العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك[٢].

٣. عند الفقهاء:

قال الإمام مالك: الحكمة هى الفقه فى دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً فى أمر الدنيا إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفاً فى أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا ، فالحكمة الفقه فى دين الله[٣].

٤. عند أهل السلوك:

نقل التهانوى تعريف أهل السلوك للحكمة بأنها: معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات[٤].

٥. عند علماء الدعوة:

يراد بالحكمة فى باب الدعوة أن يكون الداعية فاهماً لقصده عارفاً بأفضل الطرق المؤدية إلى الغرض على خير وجه ، وأن يكون عالماً بقواعد الدعاية بالنسبة لكل نمط وطائفة من طوائف المدعوين[٥] .

وقيل: إنها تعنى النظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذى يبينه لهم الداعية فى كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ،

---

(١) فتح البارى ١٢٦/٧ .

(٢) المرجع السابق ٥٤٩/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٢٣/١ .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٣٧٢/١ .

(٥) الدعوة إلى الإسلام: أبو بكر ذكرى ص ١٥٠ .

والطريقة التى يخاطبهم بها والتنويع فى هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه[١] .

٣. استعمالات الحكمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولاً- فى القرآن الكريم :

وردت الحكمة فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة مُستعمَلة فى عدة معان منها:

١. السُّنة: ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٢] ، وقوله عز وجل: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

٢. النُّبوة: ومنه قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء ﴾[٤] ، وقوله سبحانه:﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[٥] .

٣. الفهم: ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾[٦] .

٤. الفقه فى القرآن: ومنه قوله تعالى:﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾[٧] .

٥. الموعظة: ومنه قوله تعالى:﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾[٨] .

٦. القرآن ، وقيل التلطف واللين: ومنه قوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٩] .

---

(١) انظر تفسير الظلال للأستاذ سيد قطب ٤/ ٢٢٠٢ .
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٩ .
(٣) سورة البقرة: الآية ١٥١ .
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥١ .
(٥) سورة ص: الآية ٢٠ .
(٦) سورة لقمان: الآية ١٢ .
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٦٩ .
(٨) سورة القمر: الآية ٥ .
(٩) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

ثانياً- فى السنة النبوية :

كما ورد لفظ الحكمة فى جملة من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم منها:

- ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها "[١].
- وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم علمه الحكمة "[٢] .
- وما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أبو ذر يُحَدِّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فُرِج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ، ثم أطبقه ..الحديث"[٣] .

---

(١) البخارى : فى الفتح ١٣ (٧١٤١) ، ومسلم (٨١٦) .
(٢) أخرجه الترمذى (٣٨٢٤) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح .
(٣) البخارى : فى الفتح ٦ (٣٤٩٩) واللفظ له ، ومسلم (٥٢) .

المبحث الأول: الحكمة فى جانب الداعية

تقتضى الحكمة بالنسبة للداعية أن يكون بالغاً درجة عالية من الكمال البشرى فى جانبين هما: أولاً: الجانب الأخلاقى والسلوكى ، وثانياً: الجانب العلمى والثقافى ، بحيث يكون بالأول متصفاً بكل الصفات الإسلامية التى تزكى سلوكه وتسمو بأخلاقه بما ينعكس إيجابياً على دعوته ، ويكون بالثانى واسع العقل والإدراك ملماً بكل ما يتصل بعلوم الدين تفصيلاً وعلوم الدنيا إجمالاً ، فيكون بذلك داعية إلى الله تعالى مستكملاً لكل جوانب الدعوة السلوكية والقولية ، وسنبدأ أولاً بالحديث عن الجانب الأخلاقى والسلوكى ثم نثنى بالجانب العلمى والثقافى .

المطلب الأول: الجانب السلوكى والأخلاقى

يعد الجانب السلوكى والأخلاقى المستمد من منهج الإسلام الحنيف بالنسبة للداعية من أهم الجوانب التى تبعث على الحكمة مما ينعكس على دعوته ويؤدى إلى تأثيره فى مدعويه ، ونعنى بالجانب السلوكى والأخلاقى هنا التزام الداعية بأخلاق الإسلام وضبط سلوكه وفق منهجه ، فالداعية مبلغ عن الله تعالى ما أوحى به سبحانه إلى رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم (كتاباً وسنة) ، ليهدى الناس إليهما ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا ألزم الداعية نفسه – أولاً – بما يبلغه، وطبقه – ثانياً – على نفسه قبل دعوة الناس إليه ، حينئذ تنجح دعوته وتؤتى ثمارها ، وإلا فشلت دعوته وذهبت جهوده فى ذلك أدراج الرياح .

ولا شك أن أخلاق الداعية المخلص فى عمله الدعوى هى أخلاق الإسلام التى بينها الله تعالى فى قرآنه ، وفصلها رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته ، وعاشها واقعاً ملموساً فى سيرته ، وانصبغ بها صحابته الكرام فى سلوكهم ، والأخلاق الحسنة إن كانت لازمة لكل مسلم ، لكنها فى حق الداعية ألزم ، وهاكم بعض هذه الأخلاق:

١. التقوى:

ويُقصد بها فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، وهكذا ذكر الفيروزابادى فى بيان معناها فقال: التقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر وهو المعصية

والفضول ، فعلى ذلك تنقسم إلى فرض ونفل. وقيل: هى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك. وقيل: هى امتثال أوامره واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به ، وترك كل منهى عنه حسب الطاقة. قال الحليمى: حقيقة التقوى فعل المأمور به المندوب إليه ، واجتناب المنهى عنه والمكروه المنزه عنه ؛ لأن المراد من التقوى وقاية العبد نفسه من النار ، وهو إنما يقى نفسه من النار بما ذكرت[١].

وقد دعا القرآن الكريم إلى التحلى بالتقوى فى كثير من آيات القرآن الكريم، منها:

- قوله تعالى:﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾[٢].
- وقوله تعالى:﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[٣].
- وقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[٤].

كما دعت السنة المطهرة إلى التقوى فى كثير من أحاديث النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، من ذلك:

- ما روى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع فقال: "اتقوا الله ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم"[٥].
- وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[٦].

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ٢/ ٣٠٠ .
(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧ .
(٣) سورة المائدة: الآية ١٠٠ .
(٤) سورة المائدة: الآية ٣٥ .
(٥) رواه الترمذى (٥٥٩) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح .
(٦) البخارى ، كتاب: الزكاة ، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة .

• وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلاً جاءه فقال: أوصنى. فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك فقال: "أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شىء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك فى السماء وذكرك فى الأرض"(١).

إن على الداعية أن يكون حظه من تقوى الله تعالى موفوراً زائداً عن نصيب المسلم العادى منها ؛ وذلك لأن الداعية كما يذكر الأستاذ التلمسانى: "إنسان يتميز بروح لا يكفيها أن تُحيى جسد صاحبها ، ولكن تفيض من حيويتها على كل من تلقاه"(٢).

وتقوى الله تعالى إذا رُزقها العبد فإنها تنير أمامه الطريق ، وتفتح له المدارك ، ويستبصر بها صاحبها مواطن الحق ، ويكون له بها مخرج من الشبهات والمتشابهات، قال تعالى:﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾(٣)، كما قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾(٤).

ومن ثم يؤثِّر الداعية التقى بكلامه فى الناس تأثيراً عظيماً ، كما يكون قدوة طيبة لمدعويه يؤثر فيهم بسلوكه أعظم مما يؤثر بكلامه ؛ وذلك كله ببركة تقواه وخوفه من الله تعالى وخشيته له وعمله وفق منهجه .

٢. الصدق:

الصدق من الصفات الأساسية التى تبين معدن الرجال ، ولذلك فهى صفة واجبة للأنبياء والرسل عليهم السلام ، كما أنها صفة لازمة للمؤمنين ، ومن ثم أمرهم الله تعالى بدوام التحلى بها ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر،

(١) رواه أحمد فى المسند ٣/ ٨٢ .
(٢) ذكريات لا مذكرات ص ٤٨ .
(٣) سورة الطلاق: الآية ٢ .
(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٩ .
(٥) سورة التوبة: الآية ١١٩ .

وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً"(١).

ومن ثم "كان الاستمساك بالصدق فى كل شأن ، وتحريه فى كل قضية ، والمصير إليه فى كل حكم دعامة ركينة فى خلق المسلم"(٢) ، وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: نعم. فقيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: نعم. فقيل: أيكون المؤمن كذاباً ؟ فقال: لا"(٣).

والصدق درجات:

١. صدق اللسان وهو أشهر أنواع الصدق ، فالمسلم الحق يحفظ لسانه ، فلا يتكلم إلا بالصدق ، ولا يلجأ إلى المعاريض إلا عند الحاجة الملحة والضرورة الماسة .
٢. صدق النية والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص بأن يقصد المسلم بعمله وجه الله تعالى ، وإلا كان كاذباً أمام نفسه وإن صدق أمام الناس .
٣. صدق العزم وهو الحزم بقوة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد ، وإليه الإشارة فى قوله تعالى:﴿ **طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ** ﴾(٤).
٤. صدق الوفاء بالعهد ، وفيه يقول الله تعالى:﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾(٥)، كما روى عن أنس أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدراً مع رسول الله صلى

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب: الأدب ، باب: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وما ينهى عن الكذب ، ومسلم فى صحيحه واللفظ له ، كتاب: البر والصلة والآداب ، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .
(٢) انظر: خلق المسلم للشيخ الغزالى ص ٣٥ .
(٣) رواه مالك فى الموطأ ، حديث رقم (١٥٧١) .
(٤) سورة محمد: الآية ٢١ .
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٢٣ .

الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ، أما والله لئن أرانى الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع. قال: فشهد أحداً فى العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال: إلى أين؟ فقال: واها لريح الجنة إنى أجد ريحها دون أحد. فقاتل حتى قُتل ، فوُجد فى جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة ، فقالت أخته: ما عرفت أخى إلا ببنانه ، فنزلت هذه الآية:﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾ (١).

٥. صدق العمل وهو أن يتم المسلم عمله على خير وجه وأكمله ، فإذا فعل ذلك كان صادقاً ، وإذا قصر فيه أو لم يتقنه كان كاذباً فى العمل .

٣. الإخلاص:

وهو مصدر أَخْلَصَ يُخْلِصُ ، وهو مأخوذ من مادة (خَ لَ ص) التى تدل على تنقية الشىء وتهذيبه(٢)، وحقيقة الإخلاص: التبرّى عن كل ما دون الله تعالى ، وقال الكفوى: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبد المعبود بها وحده ، وقيل تصفية السر والقول والعمل(٣).

وقد ورد فى الإخلاص جملة من آيات القرآن الكريم منها: قول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾(٤)، وقوله سبحانه:﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾(٥)، وقوله عز وجل:﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(٦) وقوله جل وعلا:﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا**

(١) رواه البخارى حديث رقم (٢٥٩٥) ، والترمذى حديث رقم (٣١٢٤) .
(٢) المفردات للراغب ص ١٥٤ .
(٣) الكليات للكفوى ص ٦٤ .
(٤) سورة البينة: الآية ٥ .
(٥) سورة الزمر: الآية ٣ .
(٦) سورة النساء: الآية ١٤٦ .

صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(١). وهذه الآيات الكريمة تشير إلى أهمية الإخلاص، وأن الله تعالى أمر به وجعله أساساً لقبول العمل ، فلا يقبل عمل إلا إذا قُصد به وجهه عز وجل ، وأنه سبيل الذين يرجون لقاء الله تعالى ويطمحون إلى رحمته وحسن مثوبته .

ومن شروط الإخلاص أن يُبتغَى بالعمل وجه الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، فإذا ابتُغِىَ بالعمل وجه الله تعالى ووجوه الناس لم يُقبل من صاحبه وكان مردوداً عليه ، وقد روى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ، ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لاشىء له". فأعاد ثلاث مرات ، يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا شىء له" ثم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتُغِىَ به وجهه"(٢).

وقال شَهر بن حَوْشَب: جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال: أنبئنى عما أسألك عنه ، أرأيت رجلاً يصلى يبتغى وجه الله ويحب أن يُحمد ، ويصوم يبتغى وجه الله ويحب أن يُحمد ، ويتصدق يبتغى وجه الله ويحب أن يُحمد ، ويحج يبتغى وجه الله ويحب أن يُحمد ؟ فقال عبادة: "ليس له شىء ، إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك ، فمن كان له معى شريك فهو له كله لا حاجة لى فيه"(٣).

وفى الحديث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ثلاثٌ لا يُغَلُّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم"(٤).

فالواجب على الداعية أن يتحلى بهذا الخلق الإسلامى الكريم الذى ينعكس إيجاباً على دعوته فيجعلها مثمرة ناجحة ، وأن يعلم أن الرياء ولو كان قليلاً محبط للعمل ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: "اليسير من الرياء شرك"(٥)، كما أن عليه

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠ .
(٢) رواه النسائى ٦ / ٢٥ حديث رقم (٣٠٨٩) . .
(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ١٠٩ .
(٤) رواه ابن ماجة واللفظ له ، والدارمى (٨٦/١ ، ٨٧) ، وأحمد فى مسنده ٥/ ١٨٣ .
(٥) رواه الحاكم .

أن يتنبه إلى أن "حرارة الإيمان تنطفئ رويداً رويداً ، كلما هاجت فى النفس نوازع الأثرة وحب الثناء ، والتطلع إلى الجاه وبعد الصيت ، والرغبة فى العلو والافتخار ؛ وذلك لأن الله يحب العمل النقى من الشوائب المكدرة ، (ألا لله الدين الخالص)"[١].

٤. الصبر:

الصبر من أبرز الأخلاق اللازمة للمؤمنين عامة وللدعاة خاصة ؛ فهو فوق كونه من عدة الداعية لتبليغ دعوته هو أيضاً من فروض الإيمان بل هو نصفه ، وهو أكثر خلق ورد ذكره فى القرآن الكريم ، وذلك لأهميته فى حياة المؤمن ، فلا إيمان لمن لا صبر له ، وإن وجد فإيمان ضعيف لا يبعث على عمل ، ولا يهدى إلى خير ، ولا يدفع إلى التزام ، ومن الآيات الواردة فى الصبر قوله تعالى:

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٢].
- ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].
- ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٤].
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾[٥].

وهذا قليل من كثير مما ورد فى كتاب الله تعالى عن الصبر ، وبالإضافة إلى هذا نجد القرآ ن الكريم فيما يتصل بخلق الصبر:

١. تارة ينهى عن ضده ، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[٦].

٢. وتارة يخبر أنه مع أهله ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٧].

٣. وتارة يبشر أهله ، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[٨].

---

(١) خلق المسلم للشيخ الغزالى ص ٧٤ ، والنص القرآنى من سورة الزمر: الآية ٣ .
(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٣ .
(٣) سورة هود: الآية ١١٥ .
(٤) سورة الكهف: الآية ٢٨ .
(٥) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠ .
(٦) سورة الأحقاف: الآية ٣٥ .
(٧) سورة الأنفال: الآية ٤٦ .
(٨) سورة البقرة: الآية ١٥٥ .

٤. وتارة يخبر أنه يحبهم ، قال تعالى:﴿ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [١].

٥. وتارة يبين أن عاقبته خير، قال تعالى:﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [٢].

٦. وتارة يبين أن جزاءه عظيم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٣].

وقد جاءت السنة النبوية بأحاديث كثيرة فى الصبر منها:

- ما روى عن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"[٤].
- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ".. ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر"[٥].
- وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ- ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[٦].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٦ .
(٢) سورة النحل: الآية ١٢٦ .
(٣) سورة الزمر: الآية ١٠ .
(٤) روا مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢٩٩٩) .
(٥) رواه البخارى ، حديث رقم (١٣٧٦) .
(٦) رواه مسلم فى صحيحه ، حديث رقم (٢٢٣) .

- وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"[1].

والداعية فى أمس الحاجة إلى الصبر خصوصاً وأن ناموس الكون اقتضى أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يعارضون دعوتهم ، ويمكرون بهم ، ويكيدون لهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ولذلك كان لآدم عليه السلام إبليس لعنه الله ، ولإبراهيم نمروذ ، ولموسى فرعون ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم أبو جهل وغيره من جبابرة قريش ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[2]، ومن ثم كان على الدعاة أن يستعينوا بالصبر على مواجهة هذا البلاء ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[3].

٥. التواضع:

من أعظم الأخلاق التى يتصف بها المسلم عامة والداعية خاصة خلق التواضع، وهو ثمرة المعرفة بالله وبالنفس ، يتواضع من عرف ربه وعرف قدر نفسه، والتواضع على نوعين:

الأول: تواضع العبد عند أمر الله امتثالاً وعند نهيه اجتناباً ، فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ فى أمره ، فيبدو منها نوع إباء وشرود هرباً من العبودية ، وتثبت عند نهيه طلباً للظفر بما منعت منه ، فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية .

الثانى: تواضع لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه ، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرُّده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه ، وانكسر لعظمة الله قلبه ، واطمأن لهيبته ، وأخبت لسلطانه ، فهذا غاية التواضع ، وهو يستلزم الأول من غير عكس ، والمتواضع حقيقة من رُزق الأمرين معاً[4].

---

(١) رواه الترمذى ، حديث رقم (٢٤٣١) ، وابن ماجة واللفظ له ، حديث رقم (٤٠٢٢) .
(٢) سورة الفرقان: الآية ٣١ .
(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٤ .
(٤) الروح لابن القيم ص ٢١٠ ، ٢١١ .

والتواضع صفة لازمة لعباد الرحمن الذين عدد الله تعالى أوصافهم فى قرآنه الكريم ، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[1].

وقد دعت السنة المطهرة إلى التحلى بهذا الخلق الكريم فى جملة من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، منها:

- ما روى عن ركب المصرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسألة، وأنفق مالاً جمعه فى غير معصية ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة.."[2].
- وعن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد"[3].
- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[4].

ولا ريب أن من الحكمة أن يتصف الداعى إلى الله تعالى بخلق التواضع ، فهو أحوج إليه من غيره ، لأنه يخالط الناس ويدعوهم إلى منهج الحق وإلى أخلاق الإسلام، فلا ينبغى أن يدعوهم إلى أخلاق لا يتصف بها ، وبالإضافة إلى هذا فإن من طبيعة الناس أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم ، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً ، فهم ينفرون من المتكبر ، ويغلقون قلوبهم دون دعوته

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣ .
(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى ٣/ ١٤ .
(٣) رواه مسلم (٥١٠٩) . وأبو داود واللفظ له (٤٢٥٠) .
(٤) مسلم(٢٥٨٨) .

ووعظه ، لأجل هذا أمر الحق سبحانه رسوله بقوله:﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

٦. الرحمة:

من الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الداعية لينجح فى دعوته ويؤثر فيمن حوله خلق الرحمة ، وفيها يقول ابن القيم: "إن الرحمة صفة تقتضى إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها ، فهذه هى الرحمة الحقيقية ، فأرحم الناس من شَقَّ عليك فى إيصال مصالحك ودفع المضار عنك، فمن رحمة الأب بولده أن يُكرهه على التأدُّب بالعلم والعمل ، ويشقّ عليه فى ذلك بالضرب وغيره ، ويمنعه شهواته التى تعود بضرره ، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظنَّ أنه يرحمه ويرفهه ويريحه ، فهذه رحمة مقرونة بجهل ؛ ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد ، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من رحمته به[٢].

والرحمة فى أفقها الأعلى ومعناها الأسمى صفة الحق سبحانه وتعالى ، فإن رحمته عز وجل وسعت الأرجاء ، وشملت الأرض والسماء ، وعمت الوجود ، قال تعالى:﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٣]، وقال سبحانه:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [٤].

كما أنها صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفه الله سبحانه بها فى كتابه ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥]، ومن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم بأمته حرصه على دلالتها على ما يبعدها عن أسباب الهلاك والضياع ، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما مثلى

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٥ .
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ٢/ ١٧٢ .
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٦ .
(٤) سورة غافر الآية ٧ .
(٥) سورة التوبة: الآية ١٢٨ .

ومثل أمتى كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه ، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه"[١].

ولقد دعا الإسلام الحنيف إلى التحلى بخلق الرحمة فى جملة من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، منها:

- ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء"[٢].
- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تُنزع الرحمة إلا من شقى"[٣].
- وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا يرحم الله من لا يرحم الناس"[٤].

إن على الداعية أن يدرك بوضوح أن رسالته للناس جميعاً هى رسالة رحمة ، كما أخبر الحق سبحانه وهو يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٥] ، كما أن الكتاب العظيم الذى يدعو الناس إليه إنما هو كتاب هداية ورحمة ، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]، وقال سبحانه يصف القرآن الكريم: ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧].

ومن ثم فإن من الحكمة أن يتحلى الداعية بخلق الرحمة ، هذا الخلق الذى له آثاره الإيجابية وفوائده النافعة فى ميدان الدعوة إلى الله تعالى ، والتى منها:

(١) رواه مسلم فى صحيحه ٥/ ٩١١ ، حديث رقم (٤٢٣٤) .
(٢) رواه الترمذى رقم (١٨٤٧) ، وأبو داود رقم (٤٢٩٠). وقال الترمذى: حديث حسن صحيح .
(٣) رواه الترمذى رقم (١٨٤٦). وقال حديث حسن .
(٤) رواه البخارى ، حديث رقم (٦٨٢٨) .
(٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧ .
(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٢ .
(٧) سورة النمل: الآية ٧٧ .

١. أنها سبيل الداعية للوصول إلى قلوب المدعوين وعقولهم ، والتأثير فى واقعهم وسلوكهم ، ودفعهم نحو الخير الذى به تصلح نفوسهم فى الدنيا وتسعد فى الآخرة .

٢. ثم إن الرحمة تهون على الداعية ما يلقاه من أصحاب الغفلة والجهالة ، حين ينظر إليهم بعين الرحمة على أنهم مرضى يحتاجون إلى علاج ، وأن غفلتهم وجهالتهم لا تكاد تسمح لهم برؤية الحق الذى فى اتباعه والإذعان له صلاحهم وسعادتهم ، ومن ثم فلا يعجب من مقابلة دعوته لهم بالإعراض والصدود ، بل إنه ليتحمل منهم الأذى والإساءة ، ويعاملهم بالصفح والعفو ، ويدعو لهم بالهداية ، وهكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل فى دعوته ، ويدعو لقومه قائلاً: "اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون"(١).

٣. كما أن الرحمة سبب فى إقبال الناس على الداعية ، والتفافهم حول دعوته ، واجتماعهم على توجيهه ونصحه ، وتلك طبيعة الناس ينفرون من الغليظ القاسى ويلتفون حول الرحيم اللين ، قال تعالى ممتناً على رسوله صلى الله عليه وسلم: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)(٢).

الآثار المترتبة على التزام الداعية سلوكياً بمكارم الأخلاق:

وحين يلتزم الداعية أخلاق الإسلام الحنيف ويضبط سلوكه وفق تعاليمه السمحة تكون الثمرة الطيبة متمثلة فى عدة أمور:

الأول: دعوة ناجحة مؤثرة ، تخرج من قلب ولسان داعية سَمَت روحه ، ولطف حسه ، ورهف وجدانه ، وعاش الإسلام بمبادئه وقيمه قبل أن يدعو الناس إليه ، لتخترق قلوب الناس وعقولهم ، وتؤثر فى سلوكهم وواقعهم ، وقد قيل: ما خرج من القلب دخل إلى القلب وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

---

(١) صحيح ابن حبان ، من حديث سهل بن سعد ، نقلاً عن فتح البارى لابن حجر ٦/ ٦٢٩ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩ .

الثانى: قدوة حسنة نافعة يتأثر بها الناس حين يرون إسلاماً يتحرك على الأرض يلمسونه فى شخص هذا الداعية ، ويرونه متمثلاً فى أخلاقه وسلوكه ، وكذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم الذى تقول عنه أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها حين سئلت عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم: "كان خلقه القرآن"(١) ، والداعية يتجه نحو الكمال البشرى بقدر قربه وتأسّيه بالداعية الأول وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثالث: النجاة من مقت الله وسخطه وعذابه الذى ينزله بمن يحسن القول ويسىء العمل ممن يقول بلسانه ما يخالف سلوكه ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾(٢) .

وقال سبحانه: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾(٣).

وعن أسامة بن زيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه . قال: وإنى سمعته يقول – يعنى النبى صلى الله عليه وسلم-: مررت ليلة أسرى بى على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قلت ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك من أهل الدنيا ، كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون"(٤).

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ، حديث رقم (٢٣٤٦٠) .

(٢) سورة الصف: الآيتان ٢ ، ٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، حديث رقم (١٢٣٩١) .

المطلب الثانى: الجانب العلمى والثقافى

إن مما لا شك فيه أن الجانب العلمى والثقافى أمر فى غاية الأهمية فى تكوين الداعية ، إذ أن المعرفة المحيطة بعلوم الإسلام المختلفة ، وحسن الفهم لمبادئه وتعاليمه، والإحاطة الكاملة بمقاصده وأهدافه كل هذه ركائز أساسية ينطلق من خلالها الداعية فى مجال الدعوة ، ولا ينبغى أن نتخيل داعية أصلاً – فضلاً عن أن نتوقع نجاحاً لدعوته– وهو لم يحقق من هذا الجانب القدر الذى يمكنه من هداية الناس إلى منهج الله تعالى .

ومن ثم فالداعية يجب أن يكون على علم بما يدعو الناس إليه وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه ، فإذا فقد هذا العلم اللازم كان جاهلاً ، ووقع فى الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم ، فيضر من حيث يريد النفع ، ويفسد من حيث يريد الإصلاح[1] ، ومن ثم كان شرط الدعوة أن تكون على بصيرة ، قال تعالى:

﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

والآية الكريمة تشير إلى أن الدعوة إلى الله تعالى هى مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنها مهمة أتباعه من المسلمين ، يقومون بها على بصيرة أى على علم بموضوع الإسلام الذى يدعون إليه ، وبطبيعة المدعو الذى يدعونه ، وبمناهج الدعوة وأساليبها المناسبة لكل مدعو ، وتلك هى البصيرة التى بها تثمر الدعوة وتنجح وبدونها تكون قليلة الغناء لا جدوى لها ولا فائدة منها ، بل قد تأتى بنتيجة عكسية ، فيكون الداعى حينئذ عبئاً على الدعوة وسبباً فى ضعفها وانتكاسها .

ومن ثم فإن الجانب العلمى والثقافى الذى يجب على الداعية أن يحققه له ثلاثة اتجاهات:

أولاً– العلم بالإسلام:

ونعنى به أن يكون لدى الداعية معرفة شاملة لكافة الجوانب المختلفة للإسلام الذى يمثل موضوع الدعوة ، على أن تكون هذه المعرفة يقينية عميقة لا سطحية

(١) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٣١٥ بتصرف يسير .

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨ .

مضطربة ، وأن تكون أصيلة موثّقة ، تُستمد من مصادر الإسلام المعتمدة وينابيعه الأصلية بعيداً عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وأن تكون هذه المعرفة شاملة لمبادىء الإسلام وخصائصه ، ولأسسه ومبادئه ، ولأهدافه ومقاصده ، كما يجب أن تكون هذه المعرفة متنوعة تشمل الثقافة المتصلة بالقرآن الكريم وعلومه ، والسيرة النبوية وأحداثها ، والسنة النبوية وعلومها ، والفقه وأصوله ، كما تشمل علوم العقيدة والتصوف والأخلاق والتاريخ الإسلامى واللغة العربية وكذلك النظم الإسلامية الشاملة لجوانب الحياة المختلفة اقتصادية وسياسية واجتماعية .. الخ .

وبالإضافة إلى هذه المعرفة الدينية الأصيلة فلا بد من الإطلاع على الثقافة المتصلة بالعلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية وغيرها ، وكذلك الثقافة المتصلة بالعلوم التجريبية كعلوم الطب والحيوان والنبات والفلك وغيرها ، وليس المقصود المعرفة التفصيلية المتخصصة بهذه العلوم إنما المعرفة الإجمالية التى تحقق للداعية قدراً من الإلمام بطبيعة هذه العلوم وما تشتمل عليه من القضايا الرئيسية ، وما تقدمه للحياة والأحياء من منافع وذلك بصفة عامة، وهذه المعرفة لازمة للداعية ؛ لأنها تصب فى مصلحة الدعوة وتحقق أهدافها ، وهى ضرورية لتصحيح فكر الداعية وضبط صلته بالعالم ، كما أن من شأنها أن تمكنه من إرسال النصائح محفوفة بوعى دقيق ، وحسٍّ بالغ ، وإدراك للهدف الذى ترمى إليه[1].

إلى جانب ذلك لا ينبغى للداعية أن يغفل جانب الثقافة المتصلة بالواقع والتى تشمل الآتى:

١. واقع العالم الإسلامى .
٢. واقع القوى العالمية المعادية للإسلام .
٣. واقع الأديان المعاصرة .
٤. واقع المذاهب السياسية المعاصرة .
٥. واقع الحركات الإسلامية المعاصرة .

(١) فصّل القول فيما يجب على الداعية معرفته من ألوان الثقافات المختلفة وحدود هذه المعرفة أ. د/ يوسف القرضاوى فى مؤلفه القيّم: ثقافة الداعية ، فليرجع إليه فى هذا الباب .

٦. واقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام .
٧. واقع الفرق المنشقة على الإسلام .
٨. واقع البيئة المحلية التى يعيش فيها الداعية[١].

إن مما لا شك فيه أن الداعية حين يتوفر على مثل هذه المعرفة ينعكس ذلك عليه ثقة منه فى نفسه ، وثقة من جمهوره فيه وفيما يقول ، كما ينعكس ذلك على دعوته نضجاً وتأثيراً ونجاحاً ، وتلك من أهم الأسباب المفضية إلى الحكمة فى الدعوة إلى الله تعالى.

ثانياً- العلم بحال المدعو:

الداعية يخاطب بدعوته أناساً ليسوا على طبيعة واحدة ، بل متفاوتون مختلفون، لكل شخصيته واتجاهه وتكوينه الفكرى والثقافى والاجتماعى والنفسى ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطبيعة المختلفة بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾[٢].

يقول الأستاذ سيد قطب: "لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد ، وباستعداد واحد ، نسخاً مكرورة لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها ، وهذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض ، وليست طبيعة هذا المخلوق البشرى الذى استخلفه الله فى الأرض ، ولقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته ، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه ، وأن يختار هو طريقه ويحمل تبعة الاختيار ، ويجازى على اختياره للهدى أو للضلال ، هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته"[٣].

ومن ثم فللناس طبائعهم المختلفة واتجاهاتهم المتباينة ، لكل طريقة تفكيره ، وأسلوب حياته ، وحدود عقله ، وطبيعة نفسيته ، فمنهم المثقف ، ومنهم غير المثقف ، ومنهم الجاهل ، ومنهم المتمرد ، ومنهم العنيد ، ومنهم صاحب الاتجاه العقلى ، ومنهم صاحب الاتجاه العاطفى ، ومنهم الحضرى ومنهم البدوى ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم المنافق ، إلى آخر مظاهر الاختلاف المتعددة المتنوعة .

---

(١) انظر: ثقافة الداعية للدكتور يوسف القرضاوى ص ١١٩ وما بعدها .
(٢) سورة هود: الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .
(٣) تفسير الظلال للأستاذ سيد قطب ج ٤ ص ١٩٣٣ .

ولا شك أن دراسة علم النفس هنا "مما يعين الداعية على فهم نفسية من يدعوه من الأفراد والجماعات ، ودراسة اهتماماتهم ، وما يؤثر فى نفوسهم ، ليخاطبهم على قدر عقولهم ، ويعطيهم بقدر ما يقبلون ويطيقون ، دون أن ينفرهم أو يثقل عليهم ، أو يجلب لهم الملل والسآمة"[١].

وحكمة الداعية تتمثل فى أن يتعامل مع كل صنف من المدعوين بما يلائمه من الأساليب الدعوية التى تمثل المفتاح المناسب لشخصيته ، وتكون أرجى فى الوصول إلى نفسيته والتأثير فى عقله وفكره[٢] ، وهذا يقتضى بطبيعة الحال العلم بالمناهج والأساليب التى تمثل بدائل مختلفة يختار منها الداعية ما يناسب المدعو، وهو ما سنتناوله فى النقطة التالية من البحث .

ثالثاً- العلم بمناهج وأساليب الدعوة:

ليس للدعوة منهج واحد أو أسلوب واحد يستعمل مع كل الناس لا تعرف الدعوة سواه ، بل إن لها مناهج مختلفة وأساليب متباينة ، فهناك المنهج العقلى، وهناك المنهج العاطفى، وهناك المنهج الحسى ، ومن الأساليب هناك أسلوب الموعظة الحسنة، وهناك أسلوب الجدل والمناظرة ، وهناك أسلوب المحاكمات العقلية والأقيسة بجميع أشكالها ، وهناك أسلوب الرحمة واللين ..الخ[٣].

ومن أهم مظاهر الحكمة بالنسبة للداعية أن يحيط بكل مناهج وأساليب الدعوة، وأن يدرسها دراسة واعية ، ليختار أنفعها وأكثرها تأثيراً فى المدعو ، ولا ريب أن مما يقدح فى حكمة الداعية أن يستعمل مع أحد المدعوين أسلوباً لا يناسبه ؛ لجهله بالأسلوب المناسب أو لعدم فهمه لطبيعة المدعو .

والناظر فى واقع المجتمع الآن يجد أن كثيراً من الجهود التى تبذل فى ميدان الدعوة إلى الله تعالى تذهب هباء بسبب عدم استعمال المنهج أو الأسلوب الذى يناسب المدعو ، بل إن كثيراً ما تأتى هذه الجهود بنتيجة عكسية ، وكأن الداعى إلى سبيل الله تعالى بذلك قاطع لهذا السبيل ، صاد عنه ، منفر منه .

---

(١) ثقافة الداعية للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٠٧ .
(٢) سيأتى مزيد تفصيل لهذا الموضوع عند الحديث عن ملامح الحكمة فى طبيعة الدعوة فى المبحث الثانى من هذه الدراسة .
(٣) انظر فى مناهج وأساليب الدعوة كتاب: المدخل إلى علم الدعوة للبيانونى ص ١٩٤ وما بعدها .

المبحث الثانى: الحكمة فى جانب الدعوة

إذا كانت الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل كما سبق إلى ذلك الإشارة عند تعريف الحكمة ، فلا ينبغى اعتبارها فى ميدان الدعوة مجرد أسلوب محدود من أساليبها التى أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1] ، بل إنها تمتد فى جانب الدعوة لتشمل كل ما يتصل بآفاق الدعوة وأساليبها دون اعتبارها أحد هذه الأساليب ، ولعل ذكر الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن فى الآية الكريمة السابقة "لا يعنى المغايرة بينها بما يجعل كل واحد منها عنصراً مستقلاً، وإنما هو يمثل ما يمكن أن يعبر عنه بعطف الفرع على الأصل والمثال على القاعدة"[2].

وبناء على ذلك كان من التعريفات الجامعة للحكمة فى ميدان الدعوة أنها: النظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذى يبينه لهم الداعية فى كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التى يخاطبهم بها والتنويع فى هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه[3]، وهو تعريف جامع لأنه لا يحدد الحكمة فى جانب واحد من الجوانب المتعددة للعملية الدعوية دون بقية الجوانب ، بل يوسع مفهومها لتشمل كل ما يتصل بآفاق الدعوة الرحبة واتجاهاتها المختلفة .

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

(٢) الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً لمحمد زكى الدين محمد قاسم ص ٢٤٥ .

(٣) انظر تفسير الظلال للأستاذ سيد قطب ٤/ ٢٢٠٢ .

المطلب الأول: ملامح الحكمة فى طبيعة الدعوة

للحكمة فيما يتصل بطبيعة الدعوة ملامح متعددة نذكر منها ما يلى:

أولاً- ترتيب الأولويات:

إن مما لا شك فيه أن قضايا الدين ليست كلها على درجة واحدة من حيث الأهمية والأولوية ، بل إن منها الأهم والمهم والأقل أهمية وذلك من جهة ضرورة التبليغ والدعوة ، ومنها ما يأتى فى المقدمة ومنها ما يقبل التأجيل لمرحلة لاحقة ، وحكمة الداعية هنا تقتضى ترتيب الأولويات فى خطته ، ذلك أن للدعوة أصولاً وفروعاً ، وفيها كليات وجزئيات ، وفيها قضايا كبرى وقضايا صغرى ، فيقدم الداعية أمور العقائد على غيرها من العبادات والأخلاق، ويقدم الفروض على المندوبات والنوافل ، والمحرمات على المكروهات ، والمصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض، ويقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينات ، ودرء المفاسد على جلب المصالح وهكذا..[1]

والناظر فى الواقع العملى لمسيرة الدعوة الإسلامية وتطورها فى صدر الإسلام الأول يلمح بوضوح مراعاتها للأولويات ، فلقد بدأت الدعوة الإسلامية أولاً بتأسيس العقيدة فى قلوب الناس ، وظل هذا هدف الدعوة الإسلامية طوال العهد المكى، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، وترسخت العقيدة فى قلوبهم ، انتقلت الدعوة إلى بيان الشريعة والأحكام ، وحتى هذه المرحلة لم تشتمل دفعة واحدة على كل ما يتصل بالتشريعات الجزئية والأحكام التفصيلية ، بل بدأت أولاً ببيان أصول التشريع العامة وأحكامه الكلية، وكان ذلك فى أواخر العهد المكى ، ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وقامت دولة الإسلام فى المدينة ، بدأ التشريع يتجه نحو التفصيل والتوسع.

ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال له: "إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول

---

(١) للدكتور يوسف القرضاوى فى هذا الموضوع كتاب قيم بعنوان (أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة) فليرجع إليه فى هذا الباب .

الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم.."[١].

وفى هذا الحديث الشريف نلمس مراعاة النبى صلى الله عليه وسلم لأولويات الدين ، والتى يأتى فى مقدمتها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم الصلاة ثم الزكاة ، والتأكيد على ملاحظة هذه الأولويات عند الدعوة إلى الله تعالى .

ومن ثم فإن حكمة الداعية تقتضيه فى البداية أن يُعَرِّف الناس بربهم تعريفاً شاملاً ، فيعرفهم بذاته وبصفاته عز وجل ، ويعرفهم بخصائص الألوهية المغايرة تماماً لخصائص العبودية ، كما يعرفهم بآثار هذه الألوهية فى الكون وفى الإنسان ، وإن من شأن هذه المعرفة إذا انشرح لها صدر المدعو ، ورسخت فى عقله وضميره ، أن تهيئه إلى مرحلة أخرى يتلقى خلالها أحكام التشريع بالقبول والتنفيذ .

ثانياً- مراعاة التدرج:

إن النفس البشرية تألف الاعوجاج والتمرد ، فإذا باشرتها بالإصلاح دفعة واحدة فإن ذلك قد يشق عليها ، ويعتبر مصادمة لها ، ومن ثم فلابد من التدرج معها حتى تقبل الإصلاح وتستجيب له .

ولعلنا نلحظ التدرج فيما يتصل بنزول القرآن الكريم نفسه ، الذى لم ينزل دفعة واحدة ، وإنما نزل مفرقاً ، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً** ﴾[٢].

هكذا نزل القرآن الكريم منجماً على حسب الحوادث والنوازل ؛ ليعالج بنزوله أمراض النفس البشرية مرضاً مرضاً ، وليرقى بها فى سلم الكمال الإنسانى درجة درجة ، وليمضى بالمجتمع نحو الكمال خطوة خطوة ، ومن ثم تثبت قيمه وتعاليمه فى قلوب الناس وعقولهم ، ويعيشونه واقعاً ملموساً يحيى فيهم وبهم ، ولو نزل عليهم

(١) رواه البخارى رقم (١٤٠١) ، ومسلم رقم(٢٧) ، كتاب: الإيمان ، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٦ .

القرآن دفعة واحدة لثقلت عليهم التكاليف ، ولنفرت قلوبهم عن قبول ما فيه من الأوامر والنواهى ، وصدق الله إذ يقول:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾[١].

لقد فطنت إلى ذلك السيدة عائشة رضى الله عنها عندما قالت: "إنما نزل من القرآن أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا"[٢].

وفى قولها رضى الله عنها: "إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار" إشارة إلى أمور العقيدة التى تقوم على الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من جنة ونار. ونلحظ هنا أمرين:

الأول: رعاية القرآن الكريم للتدرج فى تطبيق الأولويات ، فجعل أمور العقيدة فى المقدمة حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، ورسخ الإيمان به فى قلوبهم نزل الحلال والحرام كمرحلة تالية ، فيكون أدعى إلى إذعان المسلمين واستجابتهم .

الثانى: ضرورة هذا التدرج ؛ إذ يترتب على عدم رعايته استهانة الناس بأمر الدعوة ، وعدم قبولهم لمنهج الإسلام فى الحلال والحرام ، وهو ما عبرت عنه السيدة عائشة من قولهم: "لا ندع الخمر أبدا" وقولهم: "لا ندع الزنا أبدا" ، وفيه إشارة إلى منتهى التمرد الذى يترتب على عدم ملاحظة التدرج وتطبيقه فى الدعوة .

ثالثاً- مراعاة طبيعة المدعو:

إن طبائع الناس مختلفة ، وأساليب تفكيرهم متفاوتة ، واستعداداتهم لقبول ما يُعرض عليهم من أمر الدعوة متباينة ، وهذا يقتضى أولاً: فهم المدعو ومعرفة طبيعته، وثانياً: اختيار الأسلوب الأمثل فى دعوته. والحكمة هنا تقتضى مراعاة هذين الأمرين بدقة شديدة ، فأىُ تقصير فى ذلك يضيع ثمرة الدعوة ويجعل جهود الداعية تذهب هباءً

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) رواه البخارى رقم (٤٦٠٩) ، كتاب: فضائل القرآن ، باب: تأليف القرآن .

منثوراً ، ومن ثم فليس من الحكمة استعمال أسلوب واحد فى دعوة المختلفين فى أعمارهم ، أو نفسياتهم ، أو ثقافاتهم ، أو آفاق تفكيرهم ، أو أنماط سلوكهم ، أو مواقفهم من الحياة والأحياء ، فيُساوَى مثلاً بين الصغير والكبير ، أو بين المرأة والرجل ، أو بين الرجل الشرقى والرجل الغربى ، أو بين العالم والجاهل ، أو بين العدو والصديق ، أو بين الحاكم والمحكوم .. إلخ .

ولقد كان الإمام البخارى رحمه الله تعالى فطناً حين عقد فى صحيحه بابين متتاليين ترجم لأحدهما بقوله: (باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه) ، وذكر فيه حديثاً عن الأسود بن يزيد الذى قال: قال لى ابن الزبير: كانت عائشة تسر إليك كثيراً ، فما حدثتك فى الكعبة؟ قلت: قالت لى: قال النبى صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم – قال ابن الزبير: بكفر – لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس ، وباب يخرجون"(١).

فلم يكن يناسب الناس وقتئذٍ نقض النبى صلى الله عليه وسلم للكعبة وجعل بابين لها ، أحدهما لدخول الناس والآخر لخروجهم ؛ لأن عقولهم لم تكن لتستوعب مثل هذا الفعل وتتفهمه ، قال ابن حجر: "وفى الحديث معنى ما ترجم له ؛ لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً ، فخشى صلى الله عليه وسلم أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غير بناءها لينفرد عليهم بالفخر فى ذلك"(٢).

وأما الباب الثانى فقد ترجم له البخارى بقوله: (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا) ، وذكر فيه أثراً وحديثاً بروايتين ، أما الأثر: فقول على رضى الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله؟"(٣).

وأما الحديث: فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل وهو رديفه على الرحل: "يا معاذ بن جبل! قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ! قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً). قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار. قال: يا

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، حديث رقم (١٢٣) .
(٢) فتح البارى لابن حجر ١/٢٧١ .
(٣) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، حديث رقم (١٢٤) .

رسول الله! أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذاً يتكلوا. وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً"(١).

ونأخذ من ذلك أنه ليس كل ما يُعرف يُقال ، وليس كل ما يُقال لشخص يُقال لغيره ، وليس كل ما يُقال فى بيئة يصلح أن يُقال فى غيرها ، وليس كل ما يصلح قوله فى زمن يصلح فى كل زمن ، بل لابد من معرفة طبيعة الشخص المدعو ، ومراعاة طبيعة الزمان والمكان ، وتقديم الدعوة التى تناسبه ، بحيث تكون سبباً فى استقامته وصلاحه لا فى تمرده وعناده ، وقد روى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(٢).

وقد ورد فيما يتصل بمراعاة ما يناسب المدعو جملة من الأحاديث النبوية ، منها:

- قول النبى صلى الله عليه وسلم: "أُمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم"(٣).
- وعن عائشة رضى الله عنها قالت: "أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ننزل الناس منازلهم"(٤).
- وقال صلى الله عليه وسلم: "حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله"(٥).

ولهذا كان من الحكمة مخاطبة الناس بالعقلية التى يفهمونها ، والأفكار التى يتفاعلون معها ، كل على حسب سنِّه وثقافته والتزامه بالإسلام ، انطلاقاً من القاعدة التى أرساها رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال الأحاديث السابقة، لتكون للدعاة مناراً يسيرون على هداه ، ونبراساً يستضيئون بنوره .

ومن الدروس العملية فى أهمية مراعاة طبيعة المدعو وضرورة تخير الأسلوب الذى يوافق هذه الطبيعة ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى أمامة رضى

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب: العلم ، حديث رقم (١٢٥) .
(٢) مقدمة صحيح مسلم ج ١ .
(٣) رواه الديلمى .
(٤) رواه مسلم فى مقدمة صحيحه .
(٥) صحيح البخارى رقم (١٢٤) ، وقد سبق تخريجه .

الله عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ائذن لى بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا: مَهْ مَهْ ، فقال صلى الله عليه وسلم: "ادنه" ، فدنا منه قريباً فجلس. قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء"(١).

لقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الفتى وقد جاءه مستئذناً بالزنا ما يدل على أنه شاب ضعيف اختل توازنه ، وسيطرت عليه غريزته ، هذا من جهة ، لكنه من جهة أخرى كان لديه إيمان جعله لا يُقدم على هذه الجريمة قبل الاستئذان من النبى صلى الله عليه وسلم ، فما كان منه صلوات الله وسلامه عليه إلا أن استعمل فى علاجه كلاً من المنهجين العاطفى والعقلى معاً ، الأول من أجل استمالته لمزيد من الإيمان الذى رأى صلى الله عليه وسلم أصله عنده. والثانى وهو المنهج العقلى من أجل إعادة التوازن إليه من خلال مناقشته فى أمر الزنا ، وبيان أنه إذا كان خلقاً مشيناً لا يقبله الشاب على أهله ، فلا ينبغى أن يرضاه للآخرين الذين هم أيضاً لا يقبلونه على أهليهم .

"فقوله صلى الله عليه وسلم للشاب: "ادنه" ، وتقريبه منه ، ووضع يده عليه ، ودعاؤه له ، كل ذلك من أساليب المنهج العاطفى الذى يحرك المشاعر ، ويأسر القلوب، ويستميل الوجدان ، كما أن مناقشته للشاب ومجادلته له بالحسنى هى من أساليب المنهج العقلى ، وهكذا اقتضت حكمة النبى صلى الله عليه وسلم فى علاج الشاب بعد تيقنه من طبيعة مرضه ، حتى أنقذه مما هو فيه وأعاده إلى توازنه وصوابه"(٢).

(١) مسند أحمد ، حديث رقم (٢١١٨٥) ، ٥/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) انظر المدخل إلى علم الدعوة للبيانونى ص ٢٥٠ بتصرف .

وهكذا فإن على الدعاة مراعاة طبيعة المدعوين ؛ لأنها السبيل للوصل إلى نفسياتهم وعلاج أدوائهم ، كما أن عليهم ملاحظة أن طبيعة المدعو اليوم مختلفة عنه بالأمس ، فهو اليوم يتعرض لمؤثرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية أفرزها هذا العصر ولم تكن موجودة من قبل ، وتحقيق النجاح فى ميدان الدعوة اليوم يقتضى أن يطور الداعية فى أساليبه ومناهجه ، بحيث يتوفر لها من عناصر الملاءمة لطبيعة إنسان هذا العصر ، ومقدرته العقلية ، واتجاهه الفكرى ، ومزاجه النفسى ما يُمكِّن الداعية من التأثير فيه وتوجيهه نحو الخير الذى يريده له .

رابعاً- مراعاة المناسبة:

من ملامح الحكمة فى الدعوة إلى الله تعالى مراعاة المناسبة ، وهو ملمح لا ينبغى للدعاة إغفاله ؛ إذ يترتب عليه إقبال المدعو وتقبله للدعوة وتأثره بها ، أو انصرافه عنها وملله منها ، فالداعية يترقب الفرصة الملائمة ، ويتحين الوقت المناسب، فيلقى دعوته والقلوب مقبلة ، والعقول نشيطة ، والنفوس راغبة مستعدة ، وإلا أمسك عن الدعوة .

وها هو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول: "إن للقلوب شهوة وإقبالاً ، وفترة وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، وذروها عند فترتها وإدبارها" ، وقد كان رضى الله عنه يذكر الناس كل خميس ، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. فقال: "أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أُمِلَّكُم ، وإنى أتخولكم بالموعظة كما "كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا"(١).

فلم يكن النبى صلى الله عليه وسلم – وهو من أرسله ربه لدعوة الناس إلى الله، وهدايتهم إلى طريق الخير والصلاح – يتحدث فى أمر الدعوة فى جميع الأوقات دون مراعاة لأحوال الناس ، بل كان يتخير لها الوقت المناسب ، حيث تكون الآذان صاغية ، والقلوب مقبلة راغبة ، فتقع الدعوة منهم بمكان ، ومن ثم تجد طريقها إلى سلوكهم وواقعهم ، وإلا ملوها ورغبوا عنها ، ولم يلتفتوا إليها .

(١) رواه البخارى ، حديث رقم (٦٨) ، كتاب: العلم ، باب: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة .

ولا شك أن إقبال الناس فى رمضان يختلف عنه فى غير رمضان ، ففى رمضان تأتى الجموع الحاشدة إلى المساجد مقبلة على العبادة متأهبة لسماع الموعظة ، لتهيئ أحسن مناخ للدعاة المخلصين ليعرضوا دعوتهم ، كذلك الحال فى موسم الحج ، وفى المناسبات الإسلامية المختلفة كالعيدين والإسراء والهجرة النبوية ، وكذلك فى الأحداث المتجددة كوقائع الأفراح وحلول المصائب والشدائد وغيرها ، إذ فى مثل هذه الأحوال تكون المناسبة مهيأة والفرصة مواتية لعرض الدعوة ، والتأثير فى الناس ، وحملهم على الخير ، وإبعادهم عن الباطل .

على أن مراعاة المناسبة كما تعنى تحين الوقت المناسب للدعوة ، تعنى كذلك تخير أسلوب الصياغة والتعبير المناسب للموقف ، فما يُقال فى الأفراح يختلف عما يُقال فى الأتراح ، وما يُقال فى الشدة غير ما يُقال فى الرخاء ، كما أن للترغيب موطناً يغاير موطن الترهيب ، فمن غلب عليه الخوف مثلاً يُستخدم معه أسلوب الترغيب والرجاء ، ومن غلب عليه الرجاء والأمل يُستخدم معه أسلوب الترهيب والتحذير .. وهكذا .

ومن ثم اختلف أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأعرابى الذى جاء مسترخصاً سائلاً عن الواجبات والفرائض ثم قال: "والله لا أزيد على هذا ولا أنقص"(١) عن موقفه مع فقراء المسلمين الذين جاءوا يستزيدون من الخير فقالوا: "ذهب أهل الدثور بالأجور..."(٢). كما اختلف أسلوبه صلى الله عليه وسلم فى الجهر بالدعوة عن أسلوبه حال الإختفاء فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، وموقفه فى غزواته عن موقفه يوم صلح الحديبية(٣).

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب: الإيمان ، باب: الزكاة من الإسلام ، ومسلم فى صحيحه ، كتاب: الإيمان ، باب: بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب: الزكاة ، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة للبيانونى ص ٢٥١ .

المطلب الثانى: ملامح الحكمة فى أساليب الدعوة

إن للحكمة فيما يتصل بأساليب الدعوة ملامح متعددة نذكر منها ما يلى:

أولاً- اللين والرفق:

النفوس مجبولة على الإقبال على من يتعامل معها باللين والرفق ، فتنصت إليه وتسمع منه ، بل تتودد إليه وتلتفّ حوله ، والشدة قد تدفع إلى النفور والمكابرة والإعراض ، فتأخذ النفس العزة بالإثم ، وبالتالى فاللين فى الدعوة والرفق بالمدعوين أسلوب لا يخيب فى تحقيق أفضل النتائج التى يمكن أن يطمح إليها الداعية . على أن بين اللين والرفق عموماً وخصوصاً ، إذ يتفقان فى مجال المعاملة ، وينفرد اللين بمجالى اللسان والقلب ، ومن ثم فاللين أعم من الرفق.(١)

وقد طبع الله تعالى قلب رسوله صلى الله عليه وسلم على اللين ، فقال عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٢).

كما أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام باستعمال هذا الأسلوب فى دعوة فرعون فى قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٣).

فكأن التذكر والخشية يرجوان عادة مع اللين فى الدعوة ، وليس مع الشدة فيها، ولذلك لم يقل الله تعالى لهما مثلاً: فقولا له قولاً شديداً يتناسب مع طغيانه وجبروته لعله يرجع أو يرتدع. وفى ذلك إشارة إلى أن الشدة فى الدعوة لا تأتى بخير، وإلا لأمر الله تعالى بها فى دعوة فرعون الذى بلغ من الفساد والانحراف مبلغاً لم يصل إليه غيره ، وإذا كان الأسلوب اللين يُرجى باستعماله مع فرعون أن يتذكر أو يخشى ، فلا شك أن استعماله مع من دون فرعون فى الطغيان والانحراف أرجى .

وقد استعمل النبى صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب فى كثير من المواقف ، نذكر منها:

---

(١) انظر: نضرة النعيم ٨/ ٣٢٩٦ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) سورة طه: الآية ٤٤ .

موقفه صلى الله عليه وسلم من الأعرابى الذى بال فى المسجد ، إذ يروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابياً بال فى المسجد ، فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم: "دعوه وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء أو سَجْلاً من ماء ، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"(١).

ألا فلينظر دعاة اليوم إلى أى حد كان النبى صلى الله عليه وسلم رفيقاً بهذا الأعرابى ، الذى يبول واضعاً النجاسة فى بيت الله تعالى الذى هو مكان الطهر والنقاء، والذى ينبغى أن تكون النجاسة أبعد شىء عنه ، إنه صنيع يبعث على الغضب ، ولهذا غضب الصحابة الذين رأوه ، وثاروا إليه ليقعوا فيه ، وقد يغضب لمثله دعاة اليوم مما قد يحملهم على الفتك بمن يصنعه ، لكن حكمة نبى الهدى والرحمة صلى الله عليه وسلم اقتضت أن يسع برفقه صنيع هذا الأعرابى الذى لا يعرف خطأ ما صنع ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: "دعوه" ، وفى رواية مسلم: "دعوه ولا تُزْرِموه" أى لا تقطعوا عليه بوله. وفيه دلالة على حكمته ورحمته صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لو قطعوا عليه بوله لكان فى ذلك ضرر صحى به ، ولكان مدعاة لانتشار النجاسة فى أكبر مساحة مكانية ، لعدم قدرة الأعرابى على التحكم فى بوله وكتمه حتى يخرج من المسجد ، وبعد أن فرغ الأعرابى دعاه النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ يعلمه فى رفق ولين قائلاً له كما فى رواية مسلم: "إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر ، إنما هى لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن".(٢)

كما روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: (بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يُقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال: "ما عندك يا ثمامة؟(٣)" فقال: عندى خير يا محمد ، إن تقتلنى تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فتُرك حتى كان

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب: الأدب ، باب: قول النبى صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا ... .

(٢) أخرج هذه الرواية مسلم فى صحيحه ، كتاب: الطهارة ، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت فى المسجد .

(٣) ما عندك يا ثمامة: أى ما تظن أنى فاعل بك .

الغد، ثم قال له: "ما عندك يا ثمامة؟" ، قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد ، فقال: "ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك. فقال: "أطلقوا ثمامة". فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد! والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلىَّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ. والله ما كان من دين أبغض إلىَّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين إلىّ. والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلىّ. وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر. فلما قدم مكة ، قال له قائل: صبوت. قال: لا ، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم)(١).

هذا هو ثمامة بن أثال يعامله النبى صلى الله عليه وسلم باللين والرفق ، رغم أنه كان قد عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد قتله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يمكنه منه(٢) ، فلما مكنه الله تعالى منه ، لم يقتله النبى صلى الله عليه وسلم ، رغم أنه كان رهن إشارة من يده ، بل عامله معاملة حسنة ، وأطلق سراحه ، هكذا دون عقاب على ماض ، أو تعنيف على تمرد ، أو فداء بمال ، فماذا كانت النتيجة؟ إن الرجل لينقلب من النقيض إلى النقيض ، فبعد أن كان وجه النبى صلى الله عليه وسلم أبغض الوجوه إليه ، إذا به يصبح أحب الوجوه إليه ، وبعد أن كان دينه صلى الله عليه وسلم أبغض الدين إليه ، إذا به يصبح أحب الدين إليه ، وبعد أن كان بلده صلى الله عليه وسلم أبغض البلاد إليه إذا به يصبح أحب البلاد إليه ، ما الذى حدث؟ إنه اللين والرفق فى الدعوة ، يُحدث فى المدعو ما لا يتوقعه أحد ، فيتحول المدعو تحولاً كاملاً من الكفر إلى الإيمان ، ومن البغض الشديد للإسلام ونبيه وأرضه إلى الحب الصادق لهم ، ومن العمل لهدم الدعوة إلى العمل لصالحها ، وذلك ممثلاً فى قول ثمامة: "والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى

---

(١) البخارى (٤٣٧٢) ، ومسلم (١٧٦٤) .

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ١/ ٤١١ .

الله عليه وسلم" ، وهكذا يترجم الرجل إيمانه إلى سلوك عملى ، فيمنع أعداء النبى صلى الله عليه وسلم من أهل مكة الحنطة التى كانت تأتيهم من اليمامة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم .

تلك حقيقة واقعة ودرس عملى ، على الدعاة فى هذا العصر أن يدرسوه ويستوعبوه ، وأن يدركوا من خلاله قيمة اللين والرفق فى الدعوة إلى الله تعالى، فيطبقوه فى دعوتهم ، ويتلمسوا بأنفسهم ثماره اليانعة وآثاره النافعة ، ويومئذ سيكون واحداً من أهم أساليبهم الدعوية المؤثرة التى لا تخطئ هدفها ، والتى ينبئ استخدامها عن حكمة الداعية وبصيرته .

ثانياً- تأليف القلوب:

النفس البشرية عنيدة وحشية ، تُقبل على من يتألفها ، وتنفر ممن يشتد عليها ولو كان فى شدته مصلحتها ، كما أنها تألف الاعوجاج ، وتميل إلى التمرد ، وتكره النصح ، ولا ترضى أن تُنسب إلى الجهل أو عدم المعرفة أو سوء التصرف ، وتغضب إذا نُبِّهت على خطأ ، بل قد تجتهد فى معاندة الحق وعدم الإقرار به خشية انكشاف جهلها ، ومن ثم فلا بد من التلطف فى معاملتها ، ومحاولة تأليفها على الحق ، وأخذها إليه برفق ؛ حتى تؤمن به وتذعن له .

وقد كان تأليف القلوب على الإسلام أحد أساليب الدعوة التى استعملها النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد روى البزار بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شىء – قال عكرمه: أراه قال فى دم– فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال: "أحسنت إليك؟". فقال الأعرابى: لا ، ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه ، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كفوا.

فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ إلى منزله ، دعا الأعرابى إلى البيت فقال: "إنما جئت تسألنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت" ، فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، وقال: "أحسنت إليك؟" فقال الأعرابى: نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "إنك جئتنا ، فسألتنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت ، وفى أنفس أصحابى عليك من ذلك شىء ، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى ، حتى يذهب عن صدورهم". فقال: نعم.

فلما جاء الأعرابى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وإنا قد دعوناه فأعطيناه ، فزعم أنه قد رضى ، كذلك يا أعرابى؟ فقال الأعرابى: نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا فراراً. فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بينى وبين ناقتى فأنا أرفق بها ، وأنا أعلم بها ، فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض ، ودعاها حتى جاءت واستجابت ، وشد عليها رحلها ، وإنى لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار".(١)

وهذا يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتألف قلوب الناس ، ويستميلهم إليه بحسن خلقه ، ولين جانبه ، وتلطفه معهم .

وقد روت كتب السيرة أن العباس بن عبد المطلب فى فتح مكة أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم أبو سفيان وشهد شهادة الحق وقال: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً. قال صلى الله عليه وسلم: نعم، وأمر مناديه فنادى: "من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن".(٢)

ويبدو من خلال ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين علم طبيعة أبى سفيان المحبة للفخر ، رأى أن يتألف قلبه وأن يستميله نحو الإسلام خصوصاً وهو فى قومه ذو منزلة وسيادة ، وكان من عادة النبى صلى الله عليه وسلم أن ينزل الناس منازلهم ، فأمر مناديه أن ينادى: "من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن". والحق أن الذى حدث إنما هو مجرد إضافة اسم أبى سفيان على لسان المنادى ؛ لأن من دخل أى دار غير دار أبى سفيان وأغلق بابها عليه فهو أيضاً آمن .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠٥ . قال الإمام ابن كثير بعد أن ساق هذه الرواية: رواه البزار. ثم قال: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه ، وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان. والله أعلم .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٣٣ .

ومن ثم فإن على الدعاة أن يتنبهوا إلى أن استمالة الناس ، وتأليف قلوبهم نحو منهج الله تعالى لا يعنى بطبيعة الحال تعدى حدود الدين وتعاليمه فى ذلك ، فلا ينبغى أن يمدحوا باطلاً ، أو يتغافلوا عن حق ، أو يتركوا واجباً ، أو يأتوا حراماً وهم يسيرون فى هذا السبيل ، وأن يتأسوا فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما أن عليهم كذلك أن يراعوا عدة أمور من شأنها أن تؤلف القلوب ، منها ما يأتى:

١. إشعار المدعو أنك تدعوه إلى مبدأ لا إلى نفع شخصى:

حين يشعر المدعو أن الداعية يهدف من خلال دعوته إلى ترسيخ مبادئ سارت فى عروقه وخالطت بشاشة قلبه ، وأنه يريد للناس أن يعتنقوها ويؤمنوا بها لأنها الحق الذى فيه صلاحهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة ، وأنه لا يريد من وراء ذلك منفعة مادية ولا مصلحة شخصية ، فإن دعوته تنجح وتؤثر وتصل إلى قلوب الناس وعقولهم.

ومن ثم كان تأكيد كل نبى على أن دعوته إنما هى لله تعالى لا يهدف من خلالها إلى مغنم شخصى أو مكسب مادى ، فنراه يقول كما يحكى القرآن الكريم:﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١] إن هذا القول قاله نبى الله نوح، وقاله من بعده أنبياء كثيرون كهود وصالح وشعيب ومن جاء بعدهم من رسل الله وأنبيائه.

لقد قال كل نبى لقومه القول المذكور "يطمئنهم بها من ناحية الدنيا وأعراضها، فما له فيها من أرب بدعوتهم إلى الله ، وما يطلب منهم أجراً جزاء هدايتهم إليه، فهو يطلب أجره من رب الناس الذى كلفه دعوة الناس ، وهذا التنبيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائما ضرورياً للدعوة الصحيحة ، تمييزاً لها مما عهده الناس فى الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد .. فأما دعوة الله الحقة فكان دعاتها دائماً متجردين ، لا يطلبون أجراً على الهدى فأجرهم على رب العالمين".[٢]

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٠٩ .

(٢) تفسير الظلال للأستاذ سيد قطب ٥/ ٢٦٠٧ .

٢. إشعار المدعو أنك محب له حريص عليه:

هذا أمر فى غاية الأهمية فى تأليف القلوب واستمالتها نحو منهج الإسلام الحنيف ، فإذا أشعرت أيها الداعى المدعو بأن دعوتك له قائمة على الحب ، أولاً: لله تعالى الذى أنزل الدعوة الإسلامية. وثانياً: للرسول صلى الله عليه وسلم الذى نزلت عليه الدعوة. وثالثاً: للإسلام الذى هو موضوع الدعوة. ورابعاً: للمدعو الذى هو مطالب باعتناق الدعوة والالتزام بها ، من جهة أنه أخ لك ينبغى أن تحبه وتحرص على ألا يضيعه الباطل فيكون وقوداً لنار جهنم. وخامساً: للمجتمع الذى تعيش فيه والذى يقوى وينهض بالصالحين ويضعف ويهوى بالمفسدين ، حين يشعر المدعو بهذا الحب الذى يحيطه به الداعية ، والذى تبدو مظاهره فى أقواله وسلوكه تجاه المدعو ، والذى يكتنف كذلك الدعوة بكل مساراتها وأركانها وما يتصل بها ، فإنه لا يملك إلا أن يبادل الداعية حباً بحب ، فيستجيب له ويقترب منه .

والذى يحب شخصاً يخاف عليه ، ويحرص على هدايته ، وهو شعور كل نبى نحو قومه ، وذلك على نحو ما حكاه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[١] ، فهو الأخ الخائف عليهم ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾[٢] ، ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾[٣] ، ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[٤] ، والأخ دائماً يشفق على إخوته من عذاب يوم عظيم ، وهو محب لهم ، حريص على نجاتهم ، فرح بهدايتهم ؛ لأنه أخوهم ، وهو واحد منهم ، فكيف لا يخشى عليهم فى يومهم وغدهم؟ .

وإن الداعية ليلمس كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية الناس إلى منهج الله تعالى ، إلى حد أنه كادت تهلك نفسه ، وتزهق روحه أسفاً على عدم استجابة قومه لما جاءهم به من الحق ، فيقول له الوحى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٥] ، ويقول له: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٥ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦٥ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف: الآية ٨٥ .

(٥) سورة الكهف: الآية ٦ .

ومن ثم فإن على الدعاة أن يتنبهوا إلى أن استمالة الناس ، وتأليف قلوبهم نحو منهج الله تعالى لا يعنى بطبيعة الحال تعدى حدود الدين وتعاليمه فى ذلك ، فلا ينبغى أن يمدحوا باطلاً ، أو يتغافلوا عن حق ، أو يتركوا واجباً ، أو يأتوا حراماً وهم يسيرون فى هذا السبيل ، وأن يتأسوا فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما أن عليهم كذلك أن يراعوا عدة أمور من شأنها أن تؤلف القلوب ، منها ما يأتى:

١. إشعار المدعو أنك تدعوه إلى مبدأ لا إلى نفع شخصى:

حين يشعر المدعو أن الداعية يهدف من خلال دعوته إلى ترسيخ مبادئ سارت فى عروقه وخالطت بشاشة قلبه ، وأنه يريد للناس أن يعتنقوها ويؤمنوا بها لأنها الحق الذى فيه صلاحهم فى الدنيا وسعادتهم فى الآخرة ، وأنه لا يريد من وراء ذلك منفعة مادية ولا مصلحة شخصية ، فإن دعوته تنجح وتؤثر وتصل إلى قلوب الناس وعقولهم.

ومن ثم كان تأكيد كل نبى على أن دعوته إنما هى لله تعالى لا يهدف من خلالها إلى مغنم شخصى أو مكسب مادى ، فنراه يقول كما يحكى القرآن الكريم:﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١] إن هذا القول قاله نبى الله نوح، وقاله من بعده أنبياء كثيرون كهود وصالح وشعيب ومن جاء بعدهم من رسل الله وأنبيائه.

لقد قال كل نبى لقومه القول المذكور "يطمئنهم بها من ناحية الدنيا وأعراضها، فما له فيها من أرب بدعوتهم إلى الله ، وما يطلب منهم أجراً جزاء هدايتهم إليه، فهو يطلب أجره من رب الناس الذى كلفه دعوة الناس ، وهذا التنبيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائما ضرورياً للدعوة الصحيحة ، تمييزاً لها مما عهده الناس فى الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد .. فأما دعوة الله الحقة فكان دعاتها دائماً متجردين ، لا يطلبون أجراً على الهدى فأجرهم على رب العالمين".[٢]

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٠٩ .

(٢) تفسير الظلال للأستاذ سيد قطب ٥/ ٢٦٠٧ .

٢. إشعار المدعو أنك محب له حريص عليه:

هذا أمر فى غاية الأهمية فى تأليف القلوب واستمالتها نحو منهج الإسلام الحنيف ، فإذا أشعرت أيها الداعى المدعو بأن دعوتك له قائمة على الحب ، أولاً: لله تعالى الذى أنزل الدعوة الإسلامية. وثانياً: للرسول صلى الله عليه وسلم الذى نزلت عليه الدعوة. وثالثاً: للإسلام الذى هو موضوع الدعوة. ورابعاً: للمدعو الذى هو مطالب باعتناق الدعوة والالتزام بها ، من جهة أنه أخ لك ينبغى أن تحبه وتحرص على ألا يضيعه الباطل فيكون وقوداً لنار جهنم. وخامساً: للمجتمع الذى تعيش فيه والذى يقوى وينهض بالصالحين ويضعف ويهوى بالمفسدين ، حين يشعر المدعو بهذا الحب الذى يحيطه به الداعية ، والذى تبدو مظاهره فى أقواله وسلوكه تجاه المدعو ، والذى يكتنف كذلك الدعوة بكل مساراتها وأركانها وما يتصل بها ، فإنه لا يملك إلا أن يبادل الداعية حباً بحب ، فيستجيب له ويقترب منه .

والذى يحب شخصاً يخاف عليه ، ويحرص على هدايته ، وهو شعور كل نبى نحو قومه ، وذلك على نحو ما حكاه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[١] ، فهو الأخ الخائف عليهم ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾[٢] ، ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾[٣] ، ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[٤] ، والأخ دائماً يشفق على إخوته من عذاب يوم عظيم ، وهو محب لهم ، حريص على نجاتهم ، فرح بهدايتهم ؛ لأنه أخوهم ، وهو واحد منهم ، فكيف لا يخشى عليهم فى يومهم وغدهم؟ .

وإن الداعية ليلمس كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية الناس إلى منهج الله تعالى ، إلى حد أنه كادت تهلك نفسه ، وتزهق روحه أسفاً على عدم استجابة قومه لما جاءهم به من الحق ، فيقول له الوحى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٥] ، ويقول له: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٥ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦٥ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف: الآية ٨٥ .

(٥) سورة الكهف: الآية ٦ .

حَسَرَاتٍ﴾[١] ، يعنى أتهلك نفسك يا محمد حزناً على انصرافهم عن الحق الذى جئتهم به إلى الباطل الذى جاءوا به من عند أنفسهم. ثم يذكره بمهمته وهى الإنذار فيقول له: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٢]، وينبهه إلى أن أمر الهداية ليس بيده إنما هو بيد الله تعالى فيقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.[٣]

٣. إشعار المدعو بالتواضع له وعدم التكبر عليه:

إن شعور المدعو بتكبر الداعية عليه مما يقف حجر عثرة دون قبوله للدعوة ، كما أنه يدفعه إلى العناد والمكابرة ، تلك حقيقة يشعر بها كل من مارس الدعوة إلى الله تعالى ، ولذلك قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٤] قال ابن عطية: هذه استعارة بمعنى لين جناحك ووطئ أكنافك.[٥]

وإن مما لا شك فيه أن تواضع الداعية لمن أهم الوسائل التى يتألف بها قلب المدعو ، فيستجيب للحق ويذعن إليه ، وليس من الدعوة فى شىء الاستخفاف بالناس ، والتكبر عليهم ، والاستهانة بهم ، واحتقارهم ، والتقليل من شأنهم ، فذلك أمر يتنافى يقيناً مع حكمة الداعية وبصيرته ، ورجاحة عقله .

ومن ثم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم ، فنحترم كبير القوم ، ونوقر سيدهم ، ونعترف لصاحب الفضل فيهم بفضله ، وقد رُوى عن عائشة رضى الله عنها قالت: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم".[٦]

فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر صحابته أن ينزلوا الناس كل الناس ، ولم يأمرهم أن ينزلوا المسلمين أو المؤمنين ، وفى هذا إشارة إلى أن الإسلام إنما هو دين الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة ، وهذه الأخلاق والقيم لا تتجزأ إنما تمارس مع المسلمين

---

(١) سورة فاطر: الآية ٨ .
(٢) سورة فاطر: الآية ٢٣ .
(٣) سورة القصص: الآية ٥٦ .
(٤) سورة الحجر: الآية ٨٨ .
(٥) تفسير ابن عطية المسمى بالمحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣/ ٣٧٤ .
(٦) رواه مسلم فى مقدمة صحيحه .

وغير المسلمين ، كما أنها تزداد جمالاً وهيبة إذا كانت مع من ندعوهم ؛ لنتألف قلوبهم، ونستميلهم نحو الإسلام ومبادئه .

٤. تقديم بعض الهدايا والعطايا:

لا شك أن بالإحسان يمكن للداعية أن يتألف قلوب مدعويه ، وبالتالى يؤثر فيهم فيستجيبون له ويلتفون حوله ، ويقبلون عليه ، وصدق القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

وقد روى عمرو بن تغلب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتى بمال – أو سبى– فقسمه فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال: "أما بعد فوالله إنى لأعطى الرجل وأدع الرجل ، والذى أدع أحب إلىَّ من الذى أعطى ، ولكن أعطى أقواماً لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ، فيهم عمرو بن تغلب" ، فوالله ما أحب أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم.[١]

هكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعامل مع النفوس ، قوم يعطيهم المال والعطايا ، وقوم يعلمهم العفاف والغنى والصبر والرضا ، فكان فى عطائه حكمة وفى منعه حكمة ، وقد رُوى عن بلال رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه إنسان مسلماً يراه عارياً ، يأمرنى فأنطلق فأشترى له البردة والكسوة وأطعمه ، وكان يوصينى قائلاً: "أنفق بلالاً ولا تخش من ذى العرش إقلالاً".[٢]

إن على الدعاة أن يراعوا أن يتوددوا إلى من يدعونهم وأن يتألفوا قلوبهم ببعض الهدايا ، ولو كانت رمزية ، فإن لها أثراً إيجابياً على المدعو ، من جهة استجابته للداعية ، وإقباله عليه ، وحبه له ، وقبول الدعوة منه. وليس المطلوب فى الهدية أن تكون غالية الثمن ، بل المهم أن تكون هادفة ذات دلالة ومغزى ، ككتاب مفيد ، أو مصحف شريف ، أو نحوهما .

---

(١) صحيح البخارى ، حديث رقم (٨٧١) ، كتاب: الجمعة ، باب: من قال فى الخطبة بعد الثناء أما بعد.
(٢) الأشراف لابن المنذر ١/ ٤٤٢ .

ثالثاً- الستر وعدم التعنيف:

الدعوة الصادقة يُقصد بها وجه الله تعالى ، فلا بد أن يكون للوسيلة من شرف الغاية ما ينأى بها عن الفضيحة والتشهير والتعنيف ، فالداعى مطالب بأن يوجه اهتمامه إلى كل ما من شأنه أن يدفع المدعو إلى الاستجابة ، فتلك غاية يهدف إليها كل داعية صادق ، لكنها لا تتحقق من خلال فضح المدعو وكشف ستره وتعنيفه ، بل بالستر عليه وملاطفته ، وتسريب النصيحة مهذبة فى أذنه ، لا التصريح بها على الملأ، فالتصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم ، والتمادى فى الباطل ، والتبجح بالمخالفة ، ويهيج على الإصرار والعناد .

ويمكن للدعاة استخدام أسلوب التعريض محافظة على مشاعر المدعو ، ورفعاً للحرج عنه ، واستثارة لداعى الخير فيه ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتى أحد فى مجلسه شيئاً منافياً يقول: "ما بال أقوام يقولون كذا ويفعلون كذا".(١)

ولقد كان ستر المدعو وعدم تعنيفه أو فضحه منهجاً سلكه المسلمون فى عصور الإسلام الأولى ، فقد أخرج أبو الشيخ عن السدى قال: خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإذا هو بضوء نار ، ومعه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فاتبع (عمر) الضوء حتى دخل داراً ، فإذا هو بسراج فى بيت ، فدخل ، وذلك فى جوف الليل ... فإذا شيخ جالس ، وبين يديه شراب وقينة تغنيه ، فلم يشعر حتى هجم عليه عمر ، فقال: ما رأيت كالليلة منظراً أقبح من شيخ ينتظر أجله ، فرفع الرجل رأسه إليه فقال: بلى يا أمير المؤمنين ، ما صنعت أنت أقبح ، تجسست وقد نُهى عن التجسس ، ودخلت بغير إذن.

فقال عمر: صدقت ثم خرج عارضاً على ثوبه يبكى ، وقال: ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه ، يجد هذا كان يستخفى به من أهله ، فيقول: الآن رآنى عمر فيتتابع فيه. وهجر الشيخ مجلس عمر حيناً ، فبينا عمر بعد ذلك جالس ، إذ به قد جاء شبه

---

(١) من ذلك ما رواه البخارى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم" قال أنس: فاشتد قوله فى ذلك حتى قال: "لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم" صحيح البخارى حديث رقم (٧٠٨) ، كتاب: الأذان ، باب: رفع البصر إلى السماء فى الصلاة. وقد تكرر مثل هذا فى كتب السنة كثيراً ، فليرجع إليها .

المستخفى حتى جلس فى أخريات الناس ، فرآه عمر فقال: علىّ بهذا الشيخ ، فأُتى فقيل له: أجب. فقام وهو يرى أن عمر سيسوءه بما رأى منه، فقال عمر: ادن منى. فما زال يدنيه حتى أجلسه جنبه فقال: أدن منى أذنك. فالتقم أذنه فقال: أما والذى بعث محمداً بالحق رسولاً ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ، ولا ابن مسعود فإنه كان معى. فقال: يا أمير المؤمنين أدن منى أذنك. فالتقم أذنه فقال: ولا أنا والذى بعث محمداً بالحق رسولاً ما عدت إليه حتى جلست مجلسى هذا. فرفع عمر صوته يكبر.. فما يدرى الناس من أى شىء يكبر.(١)

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البيهقى عن الشعبى قال: جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين! إنى وجدت صبياً ، ووجدت قِبْطِيَّة(٢) فيها مائة دينار ، فأخذته واستأجرت له ظِئْراً(٣) ، وإن أربع نسوة يأتينه يقبلنه لا أدرى أيتهن أمه؟ فقال لها: إذا هن أتينك فأعلمينى. ففعلت فقال لامرأة منهن: أيتكن أم هذا الصبى؟ فقالت: والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر ، تعمد إلى امرأة ستر الله عليها فتريد أن تهتك سترها؟ قال: صدقت. ثم قال للمرأة: إذا أتينك فلا تسأليهن عن شىء ، وأحسنى إلى صبيهن. ثم انصرف.(٤)

وحق المدعو إذا أخطأ أو انحرف أن يسمع كلمة حانية تنبهه ، وتأخذ بيده فى رفق إلى جادة الصواب ، لا أن يُعنّف أو يُوبخ ، والمخلص الحكيم من الدعاة إلى الله تعالى لا يلجأ إلى أسلوب الزجر أو التعنيف أبداً ؛ لأنه لا يأت فى ميدان الدعوة بخير ، وقد مر أبو الدرداء رضى الله عنه على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبونه ، فأنكر عليهم صنيعهم ، وقال لهم: أرأيتم لو وجدتموه فى قَلِيب(٥) ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذى عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله ، فإذا تركه فهو أخى.(٦)

---

(١) كنز العمال ٢/ ١٤١ .
(٢) القبطية: ثياب كتان بيض رقاق تُعمل فى مصر . لسان العرب ٧ /٣٧٣ .
(٣) الظئر: المرأة المرضعة غير ولدها . لسان العرب ٤ /٥١٥ .
(٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان (رقم ٩٦٦٢) ، ٧ / ١٠٨ .
(٥) القليب: البئر التى لم تطو. النهاية فى غريب الحديث ٤ /٩٨ .
(٦) شعب الإيمان للبيهقى ، (رقم ٦٦٩١) ، ٥ / ٢٩٠ .

رابعاً- الموعظة الحسنة:

وهى الكلمة الطيبة التى تخرج من فم الداعية بإخلاص وصدق لتدخل عقول الناس برفق ، وتتعمق مشاعرهم بلطف ، وهى القول الحسن الذى يلمس القلوب فترق به ، ويخالط النفوس فتهش له ، وتفرح به ، ويحمل للناس البشرى ، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب ، وهى البلسم الشافى يداوى الجراح ويخفف الآلام ، فيعود المدعو شخصاً جديداً ، قد نفض عنه غبار المعاصى والآثام التى طالما كبلته بقيود الذلة والصغار ، لينطلق إلى حياة العزة والكرامة فى ظل طاعة الله عز وجل والالتزام بمبادئ الإسلام وقيمه .

وقد دعا القرآن الكريم إلى استخدام الموعظة الحسنة فى ميدان الدعوة إلى الله تعالى حين قال سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.(١)

وقبل أن نمضى متجاوزين هذه النقطة من البحث ، نود أن نقف قليلاً عند هذه الآية الكريمة لنبين أمرين:

الأول: إذا كانت الآية الكريمة قد أشارت إلى أساليب الدعوة من خلال الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، فإن هذه الأساليب تعد الجوهر الأساسى للدعوة ، ولكنها فى ذات الوقت لا تمثل كل الأساليب التى يجب على الداعية استعمالها فى مجال الدعوة إلى الله تعالى ، ذلك أن من الأساليب ما يتصل بتحريك الشعور والوجدان ، ومنها ما يتعلق بمخاطبة العقل والفكر ، ومنها ما يرتبط بالحس والتجارب الإنسانية ، ولذلك "كان حصر أساليب الدعوة أمراً صعباً جداً نظراً لتنوعها وكثرتها .. إلا أننا نجد لجميع الأساليب الدعوية تقريباً استخدامات فى القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا يكاد يخلو منا نص قرآنى ، أو حديث نبوى".(٢)

الثانى: أن أسلوب الحكمة إذا كان هو الأسلوب الذى يضع الشىء موضعه ، فإنه بذلك يكون شاملاً لجميع الأساليب الدعوية من هذا الوجه . ومن ثم فالموعظة

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٤٢ بتصرف يسير .

الحسنة تحتاج إلى الحكمة ، وذلك حين يختار لها الداعية الموقف المناسب ، فى الوقت المناسب ، وفى المكان المناسب ، ويصوغها بالقدر المناسب ، للمدعوين الذين تناسبهم هذه الموعظة. وكذلك الحال بالنسبة للمجادلة بالتى هى أحسن ، بل وبالنسبة لكل الأساليب الدعوية الأخرى .

وفى تقييد الموعظة بالحسنة فى الآية الكريمة إشارة إلى أنه ليس كل موعظة حسنة ، بل إن من المواعظ ما هو قبيح ، وذلك حين تشتمل الموعظة على تعنيف المدعو أو فضحه أو تعييره ، أو حين تُعْرَض بأسلوب فاحش مثير ، ولذلك كان لابد فى الأسلوب الذى تُعْرَض من خلاله الموعظة من أن يكون أسلوباً هادئاً ليناً رفيقاً ، ولابد كذلك من أن تعرض الموعظة بأسلوب متأدب ، "وهو الأسلوب الذى يدعو إلى المحامد ، وينهى عن المقابح ، ويحسن عرض القضايا بالألفاظ والجمل المتأدبة ، ذات المعانى السامية ، والمفاهيم القيمة ، غير المبتذلة ولا المسفة ولا الفاحشة ، والمنزهة عن كل ما يخدش الحياء ، ويجلب الخجل ، ويبعد النفس عن التصورات والتخيلات المرذولة التى تفتح أبواب الإثارة الحيوانية.(١)

والقرآن الكريم والسنة النبوية يشتملان على الكثير من نماذج الموعظة الحسنة، منها فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.(٢)

وفى السنة النبوية نجد من نماذج الموعظة الحسنة الموضوعة فى أسلوب يفيض رقة وعذوبة ورفقاً، قول النبى صلى الله عليه وسلم لقومه: "إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غششت الناس جميعاً ما غششتكم".

---

(١) من أساليب الدعوة فى القرآن والسنة للدكتور أبو المجد نوفل ص ١٢٩ .

(٢) سورة الزمر: الآيات ٥٣- ٥٨ .

خامساً- المجادلة بالتى هى أحسن:

وهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة يمكن أن يحقق ثماراً طيبة إذا ما جاء على وجهه الصحيح. والحكمة فى المجادلة تقتضى أن يحسن الداعية اختيار الموقف الذى يناسبها ، وأن تصاغ بالأسلوب الجدلى المناسب ، وأن تكون بالقدر المناسب ، للمدعوين الذين يناسبهم ويجدى معهم استعمال مثل هذا الأسلوب الدعوى .

ومعنى الجدل فى اللغة يدور حول المعارضة والمغالبة والخصومة ، يقول صاحب مختار الصحاح: جادله خاصمه مجادلة وجدالاً ، والاسم: الجدل ، وهو شدة الخصومة[١].

وفى المفردات: الجدال المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جدلت الحبل أى أحكمت فتله ، ومنه الجديل .. وقيل: الأصل فى الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهى الأرض الصلبة [٢].

ونعنى بالأسلوب الجدلى: الأسلوب القائم على محاولة إيراد الأدلة المختلفة لإثبات قوة رأى المجادل وثبات حجته وتهافت رأى الخصم وضعف أدلته ، وهو يختلف عن الأسلوب العقلى فى أمرين:

الأول: أن الأدلة المستعملة فى الأسلوب الجدلى ليست أدلة عقلية فقط كما هو الحال فى الأسلوب العقلى بل منها الأدلة العقلية ومنها غير العقلية ، كالأدلة الحسية أوالأدلة المبنية على أسس العلم التجريبى أوغير ذلك .

الثانى: أن المخاطب فى الأسلوب الجدلى له موقف مخالف ، وهو يرى أن لديه من الأدلة على صواب موقفه ما يجعله مؤمناً به مقتنعاً بصوابه ، وهو بذلك يتطلب فى دعوته بذل مزيد جهد ، إذ يحتاج فى الواقع إلى من يدفعه إلى التخلى عن موقفه أولاً ثم الإيمان بصواب الرأى الآخر ، ومن ثم يستلزم الأسلوب الجدلى فى ممارسته نوعية خاصة من الدعاة ، لديهم صدق الإيمان ، وثبات الجنان ، وعمق الفهم ، وسعة العلم ، وقوة الحجة ، ومهارة اللغة ، والمقدرة على محاورة الخصم ، وهو ما لا يتسنى لكثير من الناس .

---

(١) مختار الصحاح للرازى ، مادة جدل ص ٩٦ .

(٢) المفردات للراغب الأصفهانى مادة جدل ، وانظر المصباح المنير نفس المادة ج١ ص ١٢٨ .

على أن من الجدل ما هو محمود ومنه ما هو مذموم ، فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق ، أو تحقيق العناد ، أو ليلبس الحق بالباطل ، أو للمماراة وطلب الجاه والتقدم ، إلى غير ذلك من الأمور المنهى عنها ، وهى التى نص الله سبحانه وتعالى على تحريمها فقال تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[٢] . وغيرهما من الآيات .

وفى مثله قال صلى الله عليه وسلم: "دع المراء وإن كنت محقاً"[٣] .

وهذا فيمن خرج عن أدب الجدل ، أو لم ينزل على الحق بعد ظهوره ، كدأب الكفار مع الرسل عليهم السلام .

وأما الجدال المحمود المدعو إليه ، فهو الذى يحقق الحق ، ويكشف عن الباطل، ويهدف إلى الرشد ، مع من يُرجى رجوعه عن الباطل إلى الحق ، وفيه قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.[٥]

وعلى الدعاة ألا ينسوا أن الجدال بالتى هى أحسن هو فى واقع الأمر أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ، يهدف إلى إقناع الناس بصدق الإسلام ، ونصاعة مبادئه ، وعظمة تعاليمه ، ومن ثم فهم مطالبون بمراعاة الحكمة فى استعماله ، بحيث يُستخدم فيه الحوار الهادئ ، والقول الرفيق اللين ، وأن يتم بالطريقة - لا أقول الحسنة بل - التى هى أحسن .

وليتأمل الدعاة حسن استعمال النبى صلى الله عليه وسلم لأسلوب الجدل الرفيق الهادف مع مدعويه: فهذا حصين الخزاعى والد عمران ، كانت قريش تعظمه وتجله ، فطلبت منه أن يكلم محمداً - صلى الله عليه وسلم - فى آلهتها ، فقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يذكرها ويسبها. فجاء حصين ومعه قريش حتى جلسوا قريباً

---

(١) سورة الزخرف: من الآية ٥٨ .

(٢) سورة الكهف: من الآية ١٨ .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة .

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٦ ، وانظر: الكافية فى الجدل للجوينى إمام الحرمين ص ٢٢ .

من باب النبى صلى الله عليه وسلم ، ودخل حصين فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أوسعوا للشيخ". فقال حصين: ما هذا الذى بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "يا حصين! كم تعبد من إله؟". قال: سبعاً فى الأرض وواحداً فى السماء. فقال: "فإذا أصابك الضر فمن تدعو؟" قال: الذى فى السماء. قال: "فإذا هلك المال من تدعو؟". قال: الذى فى السماء. قال: "فيستجيب لك وحده وتشرك معه؟ يا حصين! أسلم تسلم". فأسلم فقام إليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه ، فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شيعوه إلى منزله".(١)

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥٥ .

الخاتمة

ونستطيع من خلال هذه الدراسة المتعلقة بالحكمة فى ميدان الدعوة إلى الله تعالى أن نستنتج الآتى:

١. أن للحكمة تعريفات كثيرة تبعاً لتعدد المعنى اللغوى ، تختلف باختلاف نوع الحكمة من جهة ، واختلاف من يتناولها من العلماء من جهة أخرى ، ومن ثم فلكل من المفسرين والمحدثين والفقهاء وأهل السلوك وعلماء الدعوة تعريفاتهم المبنية على هذا الأساس المتقدم .

٢. للحكمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة استعمالات كثيرة ، منها: السنة والنبوة والفقه فى القرآن والموعظة والقرآن ...الخ .

٣. تقتضى الحكمة بالنسبة للداعية أن يكون بالغاً درجة عالية من الكمال البشرى فى جانبين هما: أولاً: الجانب الأخلاقى والسلوكى ، وثانياً: الجانب العلمى والثقافى، بحيث يكون بالأول متصفاً بكل الصفات الإسلامية التى تزكى سلوكه وتسمو بأخلاقه بما ينعكس إيجابياً على دعوته ، ويكون بالثانى واسع العقل والإدراك ملماً بكل ما يتصل بعلوم الدين تفصيلاً وعلوم الدنيا إجمالاً ، فيكون بذلك داعية إلى الله تعالى مستكملاً لكل جوانب الدعوة السلوكية والقولية .

٤. حين يلتزم الداعية أخلاق الإسلام الحنيف ويضبط سلوكه وفق تعاليمه السمحة تكون الثمرة الطيبة متمثلة فى أمور:

الأول: دعوة ناجحة مؤثرة ، تخرج من قلب ولسان داعية سَمَت روحه ، ولطف حسه ، ورهف وجدانه ، وعاش الإسلام بمبادئه وقيمه قبل أن يدعو الناس إليه ، لتخترق قلوب الناس وعقولهم ، وتؤثر فى سلوكهم وأخلاقهم ، وقد قيل: ما خرج من القلب دخل إلى القلب وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

والثانى: قدوة حسنة نافعة يتأثر بها الناس حين يرون إسلاماً يتحرك على الأرض يلمسونه فى شخص هذا الداعية ، ويرونه متمثلاً فى أخلاقه وسلوكه . *والثالث:* النجاة من مقت الله وسخطه وعذابه الذى ينزله بمن يقول بلسانه ما ينقضه بسلوكه ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾(١)... الخ الآيات والأحاديث الورادة فى هذا الشأن .

(١) سورة الصف: الآيتان ٢ ، ٣ .

٥. أن الجانب العلمى والثقافى أمر فى غاية الأهمية فى تكوين الداعية ، إذ أن المعرفة الشاملة بعلوم الإسلام المختلفة ، وحسن الفهم لمبادئه وتعاليمه ، والإحاطة الكاملة بمقاصده وأهدافه ، كل هذه ركائز أساسية ينطلق من خلالها الداعية فى مجال الدعوة ، ولا ينبغى أن نتخيل داعية أصلاً - فضلاً عن أن نتوقع نجاحاً لدعوته- وهو لم يحقق من هذا الجانب القدر الذى يمكنه من هداية الناس إلى منهج الله تعالى .

٦. أن الجانب العلمى والثقافى الذى يجب على الداعية أن يحققه له ثلاثة اتجاهات هى: أولاً: العلم بالدعوة الإسلامية أى الإسلام ، وثانياً: العلم بطبيعة المدعو ، وثالثاً: العلم بمناهج الدعوة وأساليبها .

٧. ثم إن للحكمة فيما يتصل بطبيعة الدعوة ملامح متعددة منها: ترتيب الأولويات، ومراعاة التدرج فى تطبيقها ، وكذلك مراعاة كل من طبيعة المدعو والمناسبة التى تلقى فيها الدعوة . كما أن للحكمة فيما يتصل بأساليب الدعوة ملامح متعددة منها: اللين والرفق ، وتأليف القلوب ، والستر وعدم التعنيف ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن.

٨. حين يلتزم الداعية الحكمة أخلاقاً وسلوكاً ، وعلماً وثقافةً ، وحين يراعى ما تستلزمه سواء فيما يتصل بطبيعة الدعوة ، أو الأساليب التى تتم فى إطارها ، يوفق فى مهمته ، وتنجح دعوته ، وتؤتى ثمارها كل حين بإذن ربها ، وإلا ذهبت الجهود المبذولة فيها أدراج الرياح .

تم البحث بفضل الله تعالى وعونه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين ، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور

أحمد محمد أحمد الشرنوبى

أهم المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الإصابة فى تمييز الصحابة ، ابن حجر ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ.

٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة ، بيروت، بدون تاريخ .

٤- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزابادى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

٥- الترغيب والترهيب ، الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، المكتبة القيمة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٦- تفسير ابن عطية ، المسمى المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٧- تفسير ابن كثير ، المسمى تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، دار زهران، القاهرة ، بدون تاريخ .

٨- ثقافة الداعية ، د/ يوسف القرضاوى ، مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٩- الروح ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق عبد الفتاح محمود عمر ، دار الفكر ، ١٩٨٥.

١٠- سيرة ابن هشام ، أبو محمد عبد الماك بن هشام المعافرى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١١- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهرى ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

١٢- صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ.

١٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ابن حجر العسقلانى ، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر ، بدون تاريخ .

١٤- فى ظلال القرآن ، الأستاذ سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عشرة ، ١٩٨٧ م – ١٤٠٧ هـ .

١٥- الكافية فى الجدل ، الجوينى إمام الحرمين ، تحقيق د/ فوقية حسين محمود ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
١٦- كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد بن على التهانوى ، تحقيق لطفى عبد البديع ، القاهرة ، بدون تاريخ .
١٧- الكليات ، معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
١٨- كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال ، على بن حسام الدين الهندى ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
١٩- المدخل إلى علم الدعوة ، محمد أبو الفتح البيانونى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
٢٠- المفردات ، الراغب الأصفهانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، القاهرة ١٩٢١م.
٢١- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٩ م.
٢٢- المصباح المنير ، الفيومى ، المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٢١ م .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢
التمهيد ٤
١. معنى الحكمة فى اللغة ٤
٢. معنى الحكمة فى الاصطلاح ٥
٣. استعمالات الحكمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ٧
أولاً: فى القرآن الكريم ٧
ثانياً: فى السنة النبوية ٨
المبحث الأول: الحكمة فى جانب الدعوة ٩
المطلب الأول: الجانب السلوكى والأخلاقى ٩
١. التقوى ١٠
٢. الصدق ١٢
٣. الإخلاص ١٣
٤. الصبر ١٥
٥. التواضع ١٧
٦. الرحمة ١٩
الآثار المترتبة على التزام الداعية سلوكياً بمكارم الأخلاق ٢١
المطلب الثانى: الجانب العلمى والثقافى ٢٣
أولاً: العلم بالإسلام ٢٤
ثانياً: العلم بحال المدعو ٢٥
ثالثاً: العلم بمناهج وأساليب الدعوة ٢٦
المبحث الثانى: الحكمة فى جانب الدعوة ٢٨
المطلب الأول: ملامح الحكمة فى طبيعة الدعوة ٢٨
أولاً: ترتيب الأولويات ٢٨
ثانياً: مراعاة التدرج ٣٠

ثالثاً: مراعاة طبيعة المدعو ٣١
رابعاً: مراعاة المناسبة ٣٥
المطلب الثانى: ملامح الحكمة فى أساليب الدعوة ٣٧
أولاً: اللين والرفق ٣٧
ثانياً: تأليف القلوب ٤٠
١. إشعار المدعو أنك تدعوه إلى مبدأ لا إلى نفع شخصى ٤٢
٢. إشعار المدعو أنك محب له حريص عليه ٤٣
٣. إشعار المدعو بالتواضع له وعدم التكبر عليه ٤٤
٤. تقديم بعض الهدايا والعطايا ٤٥
ثالثاً: الستر وعدم التعنيف ٤٦
رابعاً: الموعظة الحسنة ٤٨
خامساً: المجادلة بالتى هى أحسن ٥٠
الخاتمة ٥٣
أهم المراجع ٥٦